# الدور الاجتماعي والسياسي للحلف القبلي الملي

د. آزاد احمد علي
آخن/ ألمانيا

**الملخص:**

اتسم المجتمع الكوردي تاريخيا بسيادة النمط العشائري على بنيته، بمعنى وجود جماعات منتظمة متقاربة ومتضامنة ضمن هوية فرعية داخل المجتمع الكوردي الكبير. وقد أسهبت مصادر التاريخ الإسلامي في شرح التوزيع القبلي للمجتمع الكوردي. إذ انقسمت القبائل الكوردية إلى رحل يعملون في الرعي، وحضر مستقرون يعملون في الزراعة ضمن الأرياف، وتدرج ما بينهما القبائل أنصاف الرحل .

لقد كانت بنية القبيلة الكوردية اتحادية بصفة عامة، تتكون من اتحاد مجموعة من العائلات. وكانت هذه الآلية والسمة البنيوية للمجتمع الكوردي تتعمق عاما بعد آخر حتى تتشكل القبيلة، ومن ثم تتشكل بنفس الآلية قبيلة كبرى من اتحاد قبائل أصغر، او يتكون حلف واسع لمجموعة من القبائل. ومن بين هذه الاتحادات القبلية سندرس في بحثنا الحلف القبلي الملي، الذي نتج عن فعالية وتوسع القبيلة الملية الكوردية، التي عرفت باللغة الكوردية ب) ملان .(Milan وهو اتحاد حديث نسبياً، برز في المرحلة العثمانية، حيث لم نجد له ذكر من بين قبائل الكورد في المرحلة المملوكية، خاصة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. يتطرق البحث لتاريخ نشوء وولادة القبيلة الملية، أصل تسميتها وجذورها، أساس هذا الاتحاد وعموده الفقري قبيلة ملان Milan الكردية، وقسم صغير منها على وجه الخصوص، تدعى بامري .Bamirî وقد قارب عدد القبائل المنضوية تحت مظلة الحلف الملي حوالي ستين قبيلة، من الكورد والعرب والتركمان، كما ضمت المسلمين والإيزيدية وبعض المسيحيين.

تفرعت رئاسة القبيلة الى فرعين غربي بقيادة عائلة كلش عبدي، وشرقي بقيادة عائلة خضر آغا.

ترصد هذه الدراسة تنامي دور الاتحاد القبلي الملي الذي شكل حالة نموذجية لدراسة تطور دور القبيلة الكوردية سياسيا واجتماعيا، وذلك عن طريق التركيز على محطات أساسية في حياتها السياسية والاجتماعية، وطبيعة علاقتها مع الجوار. وتفاعلها مع المنعطفات والأحداث الكبرى طوال فترة ثلاثة قرون، بدءاً بالقرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

تسعى الدراسة إلى الكشف عن دور الاتحاد الملي وفعاليته الاجتماعية والسياسية، والتي يتعذر على قبيلة واحدة منفردة القيام به. كأعمال الرعي في سهول بعيدة والوظيفة الدفاعية أمام غزو القبائل البدوية العربية.

تتطرق الدراسة إلى إشكالية علاقة الملان بالسلطات العثمانية، عبر تحليل آليات تنامي دور الحلف الملي سياسيا، تحالفه مع حكام مصر ونزوعه نحو التوسع والسيطرة، وصولاً إلى محاولات الاستقلال عن السلطة العثمانية، التعاون مع البريطانيين والفرنسيين وتأسيس ما يشبه العاصمة الإدارية في بلدة ويران شهر. لقد ارتبطت فعالية الحلف الملي أولاً مع السلطة العثمانية، وبسياسات التوطين والتحضر التي طبقتها في سهول الجزيرة الفراتية. لعبت شخصيات عديدة دورا مزدوجا في الحلف الملي كرؤساء للقبيلة، وكأصحاب مناصب إدارية وعسكرية ضمن السلطنة العثمانية في الوقت نفسه، مثل: أيوب أغا، وتمر باشا، وأخيراً إبراهيم باشا.

يعالج البحث أيضاً ظاهرة تصاعد دور القبائل الكوردية على حساب الحواضر والمدن ويفترض الباحث أن فعالية دور القبائل الكوردية الاجتماعي والسياسي انبثقت من هذه الظاهرة، بمعنى: أن دور وفعالية المجتمعات الكوردية قد اعتمد بشكل حاد على القبائل المستقرة في الأرياف وعلى الكوجر (الرحل) في التصدي للغزوات والمخاطر. وفي الختام تصل الدراسة إلى نتيجة مختزلة: لم يختلف في المحصلة مصير الامارة – الحلف الملي عن مصير غيرها من الإمارات والكيانات المحلية الكوردستانية، حيث تحولت جميعاً إلى غنيمة حرب، وتركة عثمانية تقاسمتها الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، واحتفظت الدول التي شكلتها الكولونيالية الأوربية في المنطقة بحصتها من هذه الغنيمة.

**كلمات الدالة:** *ملان، دور سياسي واجتماعي، السلطنة العثمانية، ويرانشهر، إبراهيم باشا.*

**مقدمة:**

تهدف هذه الدراسة التاريخية إلى الكشف عن دور الحلف الملي عبر رصد فعاليته الاجتماعية والسياسية، والتي يتعذر على عشيرة واحدة منفردة القيام به. وتكمن أهميته البحث في محاولة شرح إشكالية علاقة حلف ملان بالسلطات العثمانية، عبر سرد مراحل تنامي دور الحلف الملي سياسيا، بدءاً بتحالفه مع حكام مصر ونزوعه نحو التوسع والسيطرة، وصولاً إلى محاولات الاستقلال عن السلطة العثمانية، عبر الاستفادة من الدول الاوربية. تم الاعتماد في منهجية البحث على المصادر التاريخية المدونة، ومن ثم على البحث الميداني والروايات الشفاهية، وعلى الوثائق المحفوظة في أرشيف عائلة إبراهيم باشا الملي. تم ترجيح الروايات الأكثر توافقا من بين روايات مصادر البحث الثلاث، والتي اعتمدت في الدراسة. اعترض البحث عوائق أبرزها طول المدة الزمنية التي تغطيها الدراسة، وتضارب الروايات حول عدد من الأحداث، إضافة الى عدم القدرة على الوصول الى الوثائق بسبب الحرب في سوريا.

**تمهيد:**

البحث في نشأة الحلف الملي وتبلور هويته يفضي إلى التطرق للهوية كظاهرة اجتماعية، حيث تظل دينامية تشكل الهوية مرتبطة بشكل وثيق بوجود مجتمعات موازية، فالهوية في حالتها الجنينية البسيطة تتشكل وتتبلور بدلالة الآخر. بمعنى، تتشكل الهوية داخلياً في سياق سيرورة اجتماعية طويلة الأمد، لكنها تكتشف من الخارج، من قبل الآخر، الآخر الجهة المختلفة والمتباينة ضمن المحيط الواسع. وكما يُعَرَف الفرد أولاً باسمه، هذا الاسم الذي يحمل في طياته سردية ما، وبالتالي تمنحه أساس الهوية الفردية. على نفس المنهج فلكل هوية جماعية قبلية أو أثنية، أو دينية أيضاً قصتها، قصة التَّكَوُّن. إن سيرورة التبلور في سياقات تاريخية مديدة، تضفي على الجماعة أولاً اسماً تعريفياً، وذلك اعتماداً على سردية ما. بحسب هذه الآلية تشكلت هوية ومسمى القبيلة المللية ضمن المجتمع الكوردستاني الأوسع لمعرفتها وتميزيها عن العشائر والمجموعات الأخرى. اشتقت أسماء القبائل والعشائر بصفة عامة من أسماء زعمائها أو الشخص الكبير في العائلة – النواة لهذه القبلية، فضلاً عن استمداد الاسم من الجغرافيا أو حتى من اسم إحدى القرى التي احتضنتها. أما بالنسبة للقبيلة المللية، فعلى الأرجح أنها اشتقت من الجغرافيا، فلمفردة (مل = Mil) دلالة جغرافية تعني الطرف، وكذلك الكتف بالنسبة لجسد الانسان. لذلك قد تكون القبيلة المللية أحد القبائل التي كانت تسكن في أطراف كوردستان. في سياق متصل فقد قسم عدد من الباحثين المجتمعات الكوردية إلى قسمين رئيسيين ملان وزيلان، بحيث كانت زيلان في نواة كوردستان وملان في أطرافها، علما أن مصادر أخرى كانت تقسم الكورد إلى ثلاثة فروع (ملان

زيلان وبابا)، وقد رجحت مصادر عائلة إبراهيم باشا أن اسم الملية مشتق من مصطلح: هزار مل Hezar Miletالكوردي، الذي يعني ألف ملة، وبذلك عبر عن حالة التنوع داخل الاتحاد القبلي الملي (باشا، ٢٠٠٩، ص٣١). وبحسب هذا الافتراض فإن اسم الملية مشتق من الملة المعربة، ومصطلح ملت (Milet) باللغة الكوردية يبدو الأقرب تعبيراً عن مصطلح (الأمة) السياسي المعاصر .

لقد عرفت هذه القبيلة الكبيرة بهذا الاسم الكوردي القديم، وعرفت النسبة اليها بملان وملي (Milan، Milî)، ترافق وترابط هذا التعريف مع تنامي دور القبيلة وتصلب بنيتها التي انبثقت من صيغة اتحادية بين عوائل وقبائل صغيرة، حتى تشكل اتحاد واسع استقطبت قبائل أخرى في رقعة جغرافية واسعة. كان أساس هذا الاتحاد وعمودها الفقري هي قبيلة ملان "Milan" نفسها، وقسم صغير منها على وجه الدقة تدعى بامري "Bamiri" أو (باف ميري)، ويبدو أن هذه المجموعة الأخيرة كانت مؤلفة من العائلات المصنفة كنخبة اجتماعية داخل مجتمع ملان الأول.

### أولاً: زعامة الحلف

ثمة اتفاق بين الدارسين والمعمرين من ابناء حلف القبائل الملية أن زعامة الحلف ترجع إلى عائلة واحدة، هي بحسب أحفاد إبراهيم باشا تبدأ من كلش عبدي، وبحسب أحفاد خضر آغا تبدأ من خضر آغا ابن محمد الملقب ب (بايي ميران)[١]، تتفق الروايتان على حقيقة أن العائلتين أبناء عمومة، ومنها تكونت قبيلة صغيرة شكلت العمود الفقري لهيكل الحلف الملي كله، وعرفت اختصاراً ب (بامري) أو (بافميران). تشعبت هذه العائلة وتفرعت، فانقسمت الملية أيضاً الى قسمين، الأول ملان خضر أو ملان الكبير، وهم من سكنوا سهول برية ماردين. وعلى الأرجح كان هذا الاستقرار بعد الانقسام في النصف الأول من القرن السابع عشر، بعد خلافهم مع أبناء عمومتهم من العائلة التي عرفت لاحقاً بالباشوات. تشير روايات القبيلة بأن خضر آغا تحالف مع طي أولاً، ثم توسعوا شرقا حتى نسب لهم جبل كوكب، الذي عرف محلياً باسم (كوكبي ملان). ومن ثم اتفقوا مع طي أن تستقر في شرق نهر جقجق[٢]، وملية خضر في غربها. عمروا عدد من القرى والمزارع، وأحيوا الأرض البور .

على الرغم من دور عائلة إبراهيم باشا الكبير في توسيع وتفعيل دور الحلف القبلي الملي، وخلافهم التاريخي مع ملان خضر إلا أنهم يؤكدون على حقيقة أن عائلة خضر آغا هي الأساس والأصل في الزعامة الملية: "ملية خضر هم جزء من الملية وجدهم خضر هو الكبير بالنسبة للبامري وقد أطلقت عليهم تسمية ملان كبير لأن جدهم هو الأكبر سناً، ومنذ حوالي (١٥٠) سنة كان هنالك خلاف بين الباشوات والخضر حول رئاسة العشيرة، وقد أدى ذلك الى حدوث انقسام في عشيرة الملية حيث انقسمت الى قسمين أحدهم وقف الى جانب ملية خضر، والقسم الآخر وقف مع

الباشاوات وحدثت معركة ضارية، ونتجت عنها خسائر وكانت النتيجة لصالح الباشاوات، مما أدى الى نزوح ملية الخضر والقبائل الموالية لها إلى منطقة ماردين. وملية الخضر ينحدرون من فخذ يدعى بالخضركان وكانوا يقيمون في منطقة ويرانشهر ومازال الى وقتنا الحالي[٣] يوجد عدد منهم في تلك المنطقة وكان كبيرهم يدعى سنان آغا. أما بالنسبة لملية خضر الموجودين داخل سوريا فإنهم بزعامة عيسى عبد الكريم، وقد ظهر من هذه العشيرة شخصيات عديدة فذة ومنهم نواف آغا الذي كان يتمتع بدرجة كبيرة من الشجاعة والذكاء وهو الذي استطاع أن يحافظ على جميع أراضي هذه العشيرة والتي مازال أفرادها يملكونها ويستثمرونها." (باشا، ٢٠٠٩، ص٢٤)

**ثانياً: قرى ملية خضر وتفرع العائلة**

استقرت ملية خضر في شريط متطاول من سهول برية ماردين تمتد من ضواحي بلدة عامودا شمالاً وحتى مراعي المحيطة بجبل كزوان (عبد العزيز) جنوبا، وذلك انسجاماً مع طبيعة حياتهم نصف الرعوية، حيث كانوا يعتمدوا على تربية الإبل والأغنام بشكل رئيسي، وأسسوا العديد من القرى لتكون منازلهم الثابتة من الطين والحجر إضافة الى استخدام بيوت الشعر مؤقتاً في أشهر الترحال. وبعد هذا الاستقرار الريفي باتت قبيلة كيكان الكوردية الكبيرة تفصل بين فرعي القبلية الملية، مما أضعف تماسكها وترسخ انقسامها. وعلى الرغم من ذلك شيدوا ما يقارب عشرون قرية: "ملان خضر لهم قرى عديدة جميعها داخل سوريا عدد البيوت ٦٠٠، وعدد القرى (١٩) إضافة الى عدد من المزارع. اشتهروا بخصب أراضيهم واتقانهم الحراثة والزراعة فيها..." (زكريا، ١٩٨٤، ص٦٦٣).

أهم قرى ملان خضر المعاصرة فهي: تل حبشة - كودحي، خرزة، قرن كوزي، خشافية، سيمتك، تل باتي، سوغاني، كري موزا، موريكا، تل مجدل، كندور، فندي، كر مير، شيخ فاطمي، خربة بستان، عين القرديه، سنجق خليل، نايف، كر حصار، جولي. بالإضافة إلى عدد من قرى العشائر التي كانت من رعايا عشيرة الملية. هذا وتتفرع سلالة خضر آغا الملي إلى ثلاثة عشرة عائلة رئيسية معاصرة هي:

١. عبد الكريم
٢. بارو
٣. مجدل بك
٤. عبد القادر
٥. عبدي حوران
٦. نواف حسن

٧. اوصمان آغا
٨. خليل آغا
٩. سمو
١٠. عثمان خضر
١١. حمي هجو
١٢. محمود شيخموس آغا
١٣. خضر

انشغلت جميع هذه العائلات مع حاضنتها الاجتماعية بشؤون الحياة اليومية، وعملت كمجتمع أهلي في أعمال الرعي والزراعة، ولم تتجاوز طموحاتها خلال فترة أواخر العهد العثماني سوى المحافظة على السلم الأهلي وإدارة الصراع على المراعي مع منافستها في الغرب وهي قبيلة كيكان، كما واجهت في الجنوب والشرق غزوات وتمدد القبائل البدوية العربية، من شمر وجبور وحليفتها السابقة طي .

بموازاة ذلك تصدت الزعامة الملية (الغربية)، أي عائلة الباشوات للمشكلات السياسية وانخرطت في سلك الدولة العثمانية منذ حقب مبكرة، مما تصدرت هي المشهد الاجتماعي والسياسي طوال قرنين من الزمان، ولم تغطي على دور أبناء عمومتهم من ملية خضر فقط، وانما تجاوزت كل الزعامات العشائرية الكوردية والعربية في جنوب كوردستان وشمال بلاد الشام.

### ثالثاً: بروز دور الحلف القبلي الملي

ارتبط صعود الحلف القبلي الملي مع فعالية ودور عائلة الباشوات، أي زعامة الفرع الغربي من قبيلة ملان، ويبدو أن نشاط هذا الحلف كان على الأرجح قبل انقسام زعامتها، وبالتالي انزياح قسم من القبيلة واستقرارهم شرقا في منطقة الخابور. لكن تأثير العوامل الخارجية والسياسية كان حاسماً في بروز فعالية القسم الغربي من الحلف، اذ ارتبط بصراعات اجتماعية بين القبائل على الأرض، واستجابت للمتغيرات السياسية والإدارية التي طرأت على قسم من الإمبراطورية العثمانية، وخاصة ولاية دياربكر. بمعنى جاء تبلور الحلف القبلي الملي نتيجة لاستجابته وتفاعله مع الأحداث والمتغيرات السياسية، وفي المقدمة منها تراجع دور الامارات والحكومات الكوردية المستقلة عاما بعد آخر، وخاصة في مطلع القرن التاسع عشر إثر تطبيق الإصلاحات الإدارية التي ساهمت في إلغاء الكيانات الكوردية شبه المستقلة داخل السلطنة العثمانية، حتى شكلت غياب تلك القريبة من جغرافية تواجد ونفوذ القبائل الملية فراغاً سياسياً واجتماعياً. ارتبط مسار الصعود السياسي للحلف القبلي الملي مع تشكيل ايالة كوردستان العثمانية الكبرى، واشكالية موقع

الحلف ضمن منظومتها الإدارية، بحيث لم تكن قبيلة صغيرة لتكتسب صفة (ناحية اعتبارية) كما الحال لدى قبيلة طي العربية وقبائل كوردية متنقلة أخرى مثل كيكان، كما أن بلدة ويران شهر كانت صغيرة منتصف القرن التاسع لدرجة لم تصنف كناحية تابعة لماردين، أو كمنطقة مرتبطة بولاية دياربكر[٤]. لذلك بات للحلف وضع خاص تحول عملياً الى ما يشبه ولاية عثمانية خاصة، أو إمارة كوردية غير معلنة.

تشير بعض المصادر الى قدم تبلور قوة هذا الحلف القبلي، وأن تشكيلته الأولى تعود إلى أوائل العهد العثماني في القرن السادس عشر (أبو بكر، ١٩٧٣، ص٥)، وإلى فترة زمنية أقدم من ذلك حسب مصادر أخرى (كران، ب ت، ص٢٦). ومن المرجح أن فاعلية الحلف ودوره قد ظهر على شكل كيان وقوة اجتماعية بعد تلك المرحلة في القرن الثامن عشر.

### رابعاً: الوظيفة الاجتماعية للحلف

ضم الاتحاد القبلي الملي العديد من القبائل الكوردية والعربية، كما استقطبت عدداً من القبائل التركمانية، هذا وكان هذا الحلف القبلي اتحادا دفاعيا واجتماعيا في الأساس، اعتمد على آلية التضامن والتكافل لتوفير الأمان للمنتمين إليه، ولتأمين أوسع المراعي للمواشي التي تعود لمجتمع الحلف. تفاعل طبيعة الحلف وتكوينه مع الحياة الرعوية لمجتمعاته التي اعتمدت بشكل رئيسي على تربية المواشي، مما منح للمجتمع الملي الكثير من المرونة والحركة وتجنب التقوقع الجغرافي، فابتعد عن التعصب القومي والديني. حتى اتسع الحلف ليضم مذاهب وأديان متنوعة، فقد كانت الغالبية من المسلمين السنة إضافة إلى الإيزيدين والمسيحيين. ولم يكن تأثير الدين قوياً على نواة الحلف الملي ولا على زعاماته، مما اتصف الحلف بالتسامح الديني والمذهبي النسبي طوال تاريخه، على الرغم من وجود ملالي ورجال دين ضمن مجتمع الحلف وبالقرب من زعامته. من الملاحظ ان القبائل الكوردية الرحل وكذلك أنصاف الرحل كالملية لم يكونوا مرتبطين بوشائج قوية مع الدين الإسلامي، وقلما كانت لديهم مساجد. تمكن قادة الملان بسط سلطتهم على العديد من القبائل والعائلات الحضرية الريفية. فالاتحاد القبلي ضم الرحل "Koçer" والفلاحون المستقرون ."kurmanc"هذا وقد حدد مارك سايكس في مراحل متأخرة عدد القبائل الملية الكردية منها بأربع وأربعين قبيلة إضافة إلى عدد من القبائل العربية أنصاف الرحل والمستقرين على ضفاف أنهر الفرات والخابور والبليخ (سايكس، ٢٠٠٧، ص ٧٧) .

اتسع الحلف وظل فعالا حتى النصف الأول من القرن العشرين، إذ حدد العلامة أحمد وصفي زكريا عدد القبائل المنضوية ضمن إطار الحلف الملي عهدئذ بخمسين قبيلة كردية وعربية (زكريا،١٩٨٣، ص٦٦٤). لا يمكن حصر وتحديد عدد القبائل المنضوية تحت لواء الحلف بدقة، لأن

عددها كان يتغير من مرحلة الى أخرى، يزداد عددها وينقص حسب احتياجاتها ومصالحها الاجتماعية. وإذا أخذنا روايات طرفي الحلف بعين الاعتبار فإن عدد المنتمين لكامل الحلف يتجاوز ستين قبيلة وعشيرة. توسع القسم الغربي من الحلف وبلغ الذروة نهاية القرن التاسع عشر، في ظل زعامة إبراهيم باشا بمباركة شخصية من السلطان عبد الحميد، واستمر حتى مطلع القرن العشرين. ما هو مؤكد أن الغالبية العظمى من هذه القبائل كانت كردية، تمتلك نفس السمات الأنثروبولوجيه، ولا تختلف بعضها عن الآخر كثيرا من حيث نمط المعيشة والثقافة والعادات الاجتماعية. كانت تسكن هضاب وسهول الجزيرة الفراتية، تتكلم اللغة الكوردية، اللهجة الشمالية "كورمانجي". كما كانت تجمعها روابط ومشتركات ثقافية ومعتقديه مع القبائل العربية والتركمانية كالدين الإسلامي، والولاء للسلطنة العثمانية، والعمل معاً لتسهيل وتوفير سبل الحياة الرعوية والريفية. وفيما بعد برز مشترك آخر بين مجموع أطراف الحلف الملي، وهو الدفاع عن مصالحها الاقتصادية المتمثلة في استغلال المراعي والأراضي الزراعية، وضرورة حمايتها في مواجهة الغزو وخطر الهيمنة البدوية القادم من شمال الجزيرة العربية ومن بادية بلاد الشام. كما قامت زعامة الحلف بتحسين بيئة التبادل التجاري في مناطقها وتشجيع مرور البضائع في أراضيها، حيث أن أجزاء طويلة من طريق الحرير القديم لنقل البضائع بين البحر المتوسط وبغداد كانت تقع ضمن أراضي الحلف.

اعتمدت القبائل الملية على تربية الماشية من الأغنام والماعز والأبقار إضافة إلى القليل من الإبل. لذلك كانت حركة هذه القبائل الرحل تتم شمالاً وجنوباً، حيث تكون مراعيهم الصيفية على أطراف الجبال وخاصة جبل قره جداغ، ومرابعهم الشتوية في سهول الجزيرة السورية على ضفاف أنهر الخابور والفرات وفي الهضاب المحيطة بجبل كزوان (جبل عبد العزيز) نظراً لاتساع محيطه وخصوبته وتنوعه الحيوي، فضلاً عن وفرة المياه العذبة عهدئذ في الجبل. انتشرت هذه القبائل على جغرافية أرض واسعة تقدر بعشرات الآلاف من الكيلومترات المربعة، تقع بين المدن التالية: (ديار بكر، حلب، الرقة، ماردين، الموصل) إلا أن المركز الحضري لجغرافية الاتحاد الملي كانت مدينة ويرانشهر Wêranşehir الواقعة حاليا إلى الشمال من بلدة تل أبيض، وتبعد عن الحدود التركية- السورية بحوالي ٢٥ كيلومتر: "تقع منازل هذه الطوائف الكردية في الولايات الشرقية والجنوبية من تركيا، وشمالي الشرق من سوريا. يحدها قوس يمتد من بلدة الجزيرة ونهر الخابور إلى بينغول صاعدا، وإلى بلدة سفريك نازلا. ومن هناك إلى بيره جك وأورفه غربا. وإلى الحسجة وجبل سنجار جنوبا. ومن هناك إلى ماردين والجزيرة شرقا فتقع مواطنها في الجنوب من جبال طوروس الشرقية وعلى نهر الفرات نحو الشرق والغرب. وتقع بلدة ويران شهر. مركز رؤساء هذه الطوائف. في وسط الخط بين ماردين وأورفا" (أبو بكر، ١٩٧٣، ص٥) .

لقد كان المجتمعات الملية منتجة للخيرات، اعتمد على الحياة الزراعية، وتراكم لدى مجتمع الحلف فائض من الإنتاج الزراعي والحيواني، مما أهله للقيام بدور سياسي وعسكري أكبر من غيره من القبائل والتحالفات القبلية الكوردية. فبحسب وصفي زكريا كانت للحلف عشرات الآلاف من المواشي وحوالي أربعة آلاف بيت: "وهي من أكبر عشائر الأكراد وأغربها تكوينا وتأليفا ... يتنقلون بين جبل قرجداغ شمالا وجبل عبد العزيز جنوبا ... هم كثر يقدرون بأربعة آلاف بيت (٤٠٠٠)، من عناصر ومذاهب مختلفة يعجب الناظر كيف تعايشت وتآلفت من وفرة هذه العناصر واختلاف منابتها، وكانوا يقولون عن هذه القبيلة من قبل المبالغة هزار ملت أي (ألف ملة)، ثم دعيت بالملي ومعظم هذه العشيرة كردي وبعضها يزيدي وقليل منها عربي الأصل." (١٩٨٣، ص ٦٦٤)

تزايدت عمليات الاستقرار الفلاحي الريفي أواخر القرن التاسع عشر، واستقطبت ويران شهر العديد من الحرفيين من أبناء الطوائف المسيحية، حتى باتت مركزا وسوقاً لحوالي أربعمئة قرية: "شجع إبراهيم باشا الأرمن والكلدان للنزوح الى عاصمته من أجل المساهمة في تطويرها، كما جلب اليها التجار والحرفيون من مختلف المدن، من أورفا وديار بكر وسويرك وماردين، وأقيمت فيها الأسواق والقصور وكافة المرافق الحيوية، وفي أطرافها بنيت القرى التي ضمت مختلف الطوائف والملل دون تميز، وكانت حوالي أربعمائة قرية على أقل تقدير. كان إبراهيم باشا يقيم في عاصمته خلال فترات معينة من السنة حيث يتوافد اليه الناس لمعالجة سائر الأمور التي تهمهم، وعندما يغادر عاصمته وقصوره المبنية كان يتخذ من خيمته مسكنا له في السهول هذه الخيمة المصنوعة على الطراز الكردي يرفعها أكثر من ١٠٠ عمود ومقسمة الى قسمين قسم للرجال والضيوف وقسم للنساء (الخواتين) حريم البيكاوات." (باشا، ٢٠٠٩، ص٨٠)[٥]

**خامساً: اجراءات الإسكان والتوافق مع السياسات العثمانية**

بعد تحالف الامارات والممالك الكوردية المستقلة وشبه المستقلة مع السلطان العثماني سليم الأول (١٤٧٠ -١٥٢٠) في مطلع القرن السادس عشر بتنظيم من ملا ادريس البدليسي، واستمرار توارث حكم العديد من الأسر والزعامات القبلية في كوردستان، سعت السلطات العثمانية في مرحلة لاحقة الحد من هذه الاستقلالية، وضاقت ذرعا بوجود ممالك وحكومات كوردية مستقلة داخل حدود السلطنة العثمانية. كمثالين قريبين من جغرافية بحثنا نذكر المملكة الأيوبية في حصن كيف وامارة بدليس[٦]. وفي سياق السياسة العثمانية لتقليص رقعة الأراضي التابعة للحكومات الكوردية المستقلة، شجعت العديد من الزعامات والقبائل على الاعتماد على العثمانيين، والانخراط في سلك الدولة سواء المدني أو العسكري. كما دفعت الظروف والمستجدات

السياسية والإخفاقات في السلطنة العثمانية للبحث المستمر عن قبائل قوية وزعامات متمرسة للاستفادة منها في حل النزاعات العشائرية وتأمين الاستقرار الاجتماعي والسياسي في الجزيرة الفراتية وشمال بلاد الشام، لذلك تم في سنة ١٧٧٩م دعوة زعماء العشائر القوية إلى اسطنبول ليمنحهم السلطان لقب الباشا ولتوظيفهم في سياستها الداخلية. وكان من أبرز هؤلاء تمر بك زعيم عشيرة الملان. تزايدت قوة تمر باشا في قيادة قبائل ملان وبسط سيطرته على رقعة جغرافية واسعة ونافس زعامة ديار بكر الحضرية. فاصطدمت قبائل الملان بأهل ديار بكر في أكثر من مناسبة. رقي تمر باشا في سلم الوظائف والحكم إلى أن أصبح والياً على سيواس وأورفا والرقة سنة ١٨٠٠م.

تلاقت مصالح الزعامة القبلية الملية بقيادة عائلة كلش عبدي مع التوجهات العثمانية، وترجمت في البدء في تشجيع الملية على العمل والتوسع والاعمار، عبر سياسة إعادة التوطين واحياء الأرض البور.

وعندما فكرت السلطة العثمانية بسياسة سكانية واسكانية جديدة لضبط الأمن وزيادة الاستقرار الحضري في شمال بلاد الشام، توجهت أولا للعناصر التركية، والتركمانية على وجه التحديد، فشجعت بعض القبائل التركمانية على الاستيطان في مناطق ريف الرقة وحلب بدءا بسنة ١٦٩١م. وكانت هذه السياسة من أوائل عمليات الإسكان والتوطين الموجهة والقسرية لأسباب عسكرية وسياسية واجتماعية في المنطقة ابان المرحلة العثمانية. فأصدرت السلطنة لتحقيق هذا الهدف فرامانات وقوانين لتنظيم عمليات تملك الأرض، ونظمت العمل الزراعي، فحددت ضريبة الدولة من مجمل الإنتاج الزراعي بالثلث ٣٠٪. إلا أن هذه السياسة لم تنجح. ولم يتمكن التركمان من تحقيق الهدف المطلوب، سواء من ناحية التنمية الزراعية أو الاستقرار الأمني لمناطق واسعة من الجزيرة الفراتية وشمال بلاد الشام. فقد ضايقتهم القبائل العربية المهاجرة من الجنوب والضاغطة باتجاه الشمال، وذلك بسبب الطلب على الأرض والمراعي وبحثا عن مصادر المياه العذبة. لم تصمد القبائل التركمانية فعادت أعداد منها الى مناطقها الأصلية، كما فر قسم آخر بعيدا إلى الشمال، واتجهت نحو مناطق الأناضول الغربي. (اورهانلو، ٢٠٠٥، ص٧٨ - ١٠٣)

وبناء على هذه النتائج المخيبة تم التوجه نحو سياسة الاعتماد على القبائل الكوردية الأكثر عدداً والمتواجدين في المحيط القريب لشمالي بلاد الشام. فقد تم تشجيع أفخاذ "بهاء الدينلي وجمال الدينلي، حسنلي وبيدانلي من القبيلة الملية" للإسكان في أرجاء الرقة حوالي سنة ١٧١١م (اورهانلو، ٢٠٠٥، ص١٣٤). استمراراً لهذه السياسات شجعت السلطة العثمانية في مرحلة لاحقة أقسام أخرى من قبيلة ملان خاصة أفخاذ (بامران، عمريان، دوديكان) مع بعض العائلات

التركمانية على الاستقرار في الرقة من جديد لإعادة أعمار المدينة وريفها والعمل في الزراعة. إلا أن معظمهم عاد إلى حياة نصف الترحال، وظل قسم آخر مستقرين في المدينة .

تعزز وجود العائلات الملية وقبائلها في الرقة ومحيطها مع تعيين تيمور باشا الملي واليا على أورفا والرقة مطلع القرن التاسع عشر، ويبدو أن من تبقى في المدينة من العائلات الذين قاموا بإعمارها من جديد هم أجداد العديد من العائلات الحضرية المعاصرة في الرقة: "ما يزال قسم من الأكراد الذين قدموا معه إلى الرقة يقيمون فيها وكانوا يسمون ب(القول) وهم من فخذ كم نقش الملية ومنهم الخلف والقاسم والجدوع والملة" (باشا، ٢٠٠٩، ص٥١)

**سادساً: بدايات الدور السياسي للحلف الملي**

تداخلت نشاطات زعامة الحلف القبلي الملي مع الأجندة السياسية للسلطنة العثمانية، وتم توظيفهم داخلياً كأحد مرتكزات النظام العثماني، ومع بروز هذا الدور تزايدت طموحات زعامة الحلف بقيادة باشاوات عائلة كلش عبدي، وترجمت في السعي لمزيد من التوسع والثراء والاستقلالية عن مركز السلطنة، مما مهد لعدد من الانتفاضات وحالات التصادم بين الجهاز الإداري الرسمي للسلطنة العثمانية ممثلاً بالولاة في مراكز المدن الكبرى وبين الزعامة الملية الحرة نسبياً، بينت المصادر التاريخية أنه: "في سنة ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م ثار تيمور باشا الملي رئيس قبيلة الملية الكردية الكثيرة العدد، وكانت تعيش على تربية المواشي وتتجول في الأراضي الواقعة ضمن ايالات الرقة وديار بكر وحلب، وكان نفوذ تيمور قد ازداد وفرض سيطرته على القرى والقبائل، وأخذ يجبي الضرائب من السكان لنفسه واستولى على جميع المراكز الواقعة ضمن ايالتي حلب وديار بكر والرقة وامتد نفوذه إلى ايالة حلب لعدم وجود مقاومة له... وفي سنة ١٢١٥ هـ ١٨٠٠م عين تيمور بك الملي رئيس عشيرة الملية والثائر السابق والياً على الرقة بعد أن صدر عفو السلطان عنه ومنح رتبة الوزارة" (عياش، ١٩٨٩، ص ٣٢٤) .

عندما اشتدت غزوات القبائل البدوية العربية "عنزة، شمر" نحو الشمال، وهي قبائل لم تكن تخضع تماماً لنفوذ السلطة العثمانية، ولم تنضبط بحسب قوانينها المركزية، رسخت السلطة العثمانية دور الاتحاد الملي، كما دعمت العائلة الحاكمة فيها للحفاظ على الأمن والاستقرار، وشجعتها لمقاومة الغزو البدوي لتستمر الحياة الزراعية، ولحماية القرى القائمة على ضفاف أنهر "الفرات، البليخ، الخابور". حيث سبب الغزو البدوي في رحيل عدد من القبائل التركمانية من جديد، وإلى خراب قراها. ولتوفير قوة محلية وازنة في مواجهة البدو شجعت المزيد من القبائل العربية المستقرة وتلك التي تعتبر من أنصاف الرحل على الانضمام إلى الاتحاد القبلي الملي لصد هجمات البدو، والحد من طموحها في التوسع والغزو شمالاً، التي كانت تترافق مع عمليات نهب

للماشية وممتلكات القرويين من عرب وأكراد. بحيث ظلت إحدى أهم وظائف الاتحاد الملي هو ضبط الاستقرار وصد غزوات البدو، والمحافظة على نمط الحياة الفلاحية المستقرة. استمرت هذه الوظيفة البنيوية السياسية والاجتماعية وبالتالي العسكرية للحلف القبلي الملي حتى مطلع القرن العشرين. حيث تؤكد على ذلك العديد من الروايات فضلاً عن عشرات الوثائق العثمانية. وفي سياق متصل تزايدت الحاجة الى استثمار قوة الحلف الملي لمواجهة الحركة الوهابية في قلب الجزيرة العربية، التي زاوجت بين الإصلاح الديني والغزو القبلي، حتى نافست السلطة العثمانية وشكلت خطراً عليها.

انقلبت في ظل تلك الأجواء دولة مصر بقيادة محمد علي بك الكبير على السلطنة العثمانية، واحتلت سوريا قوات إبراهيم باشا المصري، واحتكت مع القوات الكوردية وخاصة العائدة للحلف الملي، ونتج عن هذا الاحتكاك تعاطف كوردي عام مع حكام مصر. انتهز تيماوي بك فرصة الخلاف والقتال بين السلطنة العثمانية وبين حكام مصر فتحالف مع المصريين وقدم للقوات المصرية الكثير من المساعدات (زكي، ١٩٨٥، ص٢٢٢) .

أثر ذلك انتقلت قيادة الاتحاد الملي إلى موقع سياسي جديد فخطت خطوة خطيرة في تاريخها السياسي والعسكري تمثلت في تحالف تيماوي بك "تمو"[٧] وتعاونه مع إبراهيم باشا المصري، وتوافقا على هدف مشترك تلخص في محاربة السلطنة العثمانية والتخلص من سلطتها ونفوذها المركزي.

قدم الحلف الملي الطعام والمواشي والإمدادات اللوجستية للجيش المصري، فضلا عن أنهم قاتلو معاً لمواجهة قوات العثمانيين. كما أفسحوا المجال للقوات المصرية للدخول إلى بعض المناطق الكردية قرب مركز السلطنة العثمانية (كران، ص٦٥) و(زكي، ١٩٨٥، ص٢٢٣).

على ما يبدو تعاطفت القبائل الملية مع عائلة محمد علي باشا الكبير في مصر لهدف سياسي مشترك، وربما نتيجة لعلاقات القربى البعيدة، فما هو مؤكد أن التعاون المصري – الكوردي قد حصل في تلك الحقبة، كاستمرارية للحضور الكوردي التاريخي في مصر منذ العهد الأيوبي، لدرجة أن قسم من طلائع جيوش إبراهيم باشا المصري القادمين جنوباً من مصر كانوا كورداً: "جرت بين إبراهيم باشا والثوار عند دامة فأدخل أمامه خيول عسكر الأكراد وتبعهم إبراهيم باشا بعسكر نظامي وبوصول الأكراد الى أرض دامة انطبق عليهم رجال الدروز فكسروهم كسرة هائلة فدافع عنهم إبراهيم باشا بالعساكر النظامية بلا فائدة..." (أبو عزالدين، ١٩٢٩، ص٢١٢)

ويشير نفس المصدر إلى قيام ثورة كوردية ضد السلطة العثمانية، وأن حكام مصر قد ساعدوا المنتفضين تزاماً مع هجوم المصريين: "كان من الجهة العثمانية أن الأكراد القاطنين في المنطقة العثمانية قرب الحدود السورية ثاروا على السلطان محمود وكانت الحكومة العثمانية تتهم حكومة محمد علي بتحريضهم على الثورة وامدادهم بالذخيرة والسلاح فتولى رشيد باشا امر اخضاعهم لكنه توفي في كانون ثاني سنة ١٨٣٧ قبل ان يتمكن من القضاء على ثورتهم فخلفه محمد حافظ باشا في الشهر التالي وبعد وقائع عديدة تغلب عليهم في شهر آب من نفس السنة." (أبو عزالدين، ١٩٢٩، ص٢٢٢)

خسر كل من إبراهيم باشا المصري وتيماوي بك الكوردي وغيرهم ممن تحالفوا ضد السلطنة العثمانية المعركة، على الرغم من ان السلطنة أوشكت على السقوط بعد خسارتها في معركة نزيب على نهر كرزين قرب جسر هركون في المناطق الكوردية بضواحي بيره جك سنة ١٨٣٩م، لكن استمرت السلطنة بدعم من الدول الأوربية وخاصة بريطانيا: "سنة ١٨٤٠ اتفقت الدول الاوربية على وضع حد لحكم محمد علي لسوريا ودعم السلطنة العثمانية وأجبرت القوات المصرية على العودة الى مصر ليصبح محمد علي حاكماً وراثياً على مصر". (أبو عزالدين، ١٩٢٩، ص٢٥٣ / ٢٥٤)

لقد تدخلت الدول الأوربية لصالح السلطان ضد محمد علي باستثناء فرنسا التي دعمته، لكنها جميعا بدأت التدخل في المسألة السورية والشرقية منذ ذلك الحين .

نتيجة لهذه المعارك تراجعت قوة القبائل الملية وقتل تيماوي بك حسب أغلب الروايات: "لكن الأمر لم يدم إذ قتل في المعركة بعد ذلك بقليل، وبعد وفاة الرجل وجلاء الجيش المصري من البلاد المفتوحة عادت الحكومة العثمانية فبسطت حكمها على هذه البلاد مرة أخرى، ونظراً لفقدان العشيرة الملية هذه زعيمها الأوحد نزلت بها مصائب وويلات عظيمة حيث أغارت عليها عشيرتا طي وشمر العربيتين واستولتا على كثير من القرى والبلدان التي كانت منازل ومأوى للأكراد" (زكي، ١٩٨٥، ص٢٢٤)

خسرت القبائل الملية الحرب إلا أنها أسست لعلاقة سياسية مع حكام مصر، الذين ساعدوها في التوسط لاحقا لدى السلطان للعفو عن زعامتها، وإعادة دور القبيلة السياسي والاجتماعي من جديد.

استمرت القوات العثمانية في محاربة الإمارات والحكومات الكوردية، وكذلك ألغت سناجق كوردستان المستقلة، واستهدفت بشكل خاص الاتحاد الذي تشكل بقيادة إمارة بوتان أواسط

القرن التاسع عشر، وبعد هزيمة حلف بوتان في انتفاضتي بدرخان وأزدين شير (١٨٤٧ -١٨٥٥)م تحولت المجتمعات الكوردية وتجانست في تابعيتها المباشرة لسلطة الدولة العثمانية، وترجم ذلك سياسياً وإدارياً في إعلان إيالة كوردستان العثمانية، ثم أهملت وظيفتها السياسية تدريجياً، وبالتالي تم تقليص وتقزيم صلاحياتها الإدارية التي ترافقت مع جملة من المعضلات التي نتجت عن التجربة، ولعل أبرزها عدم إنشاء حكم محلي مركزي قوي لكامل الإيالة. ترسخ نتيجة للمتغيرات والصراعات الداخلية والخارجية تطبيق الحكم العثماني المركزي في مختلف المناطق، وخضعت مجتمعات كوردستان للأوامر الإدارية العثمانية بشكل مباشر سواء في الريف أم في المدن. كما خضعت المناطق الكوردية لنظام التقسيمات الإداري العثماني الجديد، مع جملة من الإجراءات والسياسات العقابية وممارسة عنف السلطنة على أوسع نطاق. ويمكن تحديد مرحلة أواخر القرن التاسع عشر كبداية حقيقية للحكم العثماني المباشر في الريف الكوردستاني الواسع، الذي جاء تحت عنوان الإصلاحات: "فرضت الإصلاحات وجرى تطبيقها بوتيرة متسارعة، وكان الثمن أن صار العنف الذي مارسته الدولة أمراً عادياً أو حتى مؤسسياً. وهكذا قامت أجهزة جديدة لجمع الضرائب والتجنيد وأخرى قضائية وعسكرية نجحت خلال عقود في تفكيك الإدارات ذات الوضعيات الاستثنائية، كالحكومات المحلية في كوردستان." (بوزرسلان، ٢٠١٥، ص ٢٩)

لذلك تراجع الريف وتجمد تحت ثقل الضرائب، كما انتشرت الأمراض والأوبئة في العديد من المناطق، ودخلت المنطقة مرحلة الركود والمجاعات. لم يستقر الوضع لصالح السلطة العثمانية، ولم تستسلم القيادات المجتمعية والسياسية الكوردية، بل استمر النشاط النخبوي الكوردي ضد الحكم العثماني، بصيغ مختلفة ومتباينة. حتى ترافقت المشكلات الداخلية مع المواجهات الخارجية للسلطة العثمانية مع الدول العظمى، مما دفع بها لممارسة سياسات أكثر عنفاً وتشدداً، فما إن وصلت المجتمعات المحكومة من قبل العثمانيين إلى مطلع القرن العشرين، وتنامت نضالاتها في سبيل الحريات والإصلاح، حتى استلم التيار الأكثر تشدداً الحكم، ومارس ممثلو جمعية الاتحاد والترقي سياسات أكثر اضطهاداً للمعارضين، بل مارست القتل وحملات الإبادة ضد النخب المطالبة بالحرية، خاصة عند الشعوب العربية والأرمنية والكوردية، فقد ظهر على الساحة: "حكم دكتاتوري دموي مطلق وقف على رأسه الثالوث المعروف أنور باشا الذي أصبح وزيراً للحربية ورئيساً للقيادة العامة وطلعت باشا الذي كان رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي وصار وزيراً للداخلية، وجمال باشا الذي صار وزيراً للبحرية وحاكماً على إستانبول. ولم يبق للسلطان العجوز والمتشكك محمد الخامس أي دور في الحكم". (مظهر، ٢٠١٣، ص١١٧)

ولد تزايد العنف واضطهاد العثمانيين لأبناء شعوب المنطقة، وقمعهم للحركات التحررية لشعوبها صيغ متقدمة من العلاقات السياسية، حتى تضافرت جهود النخب المتنورة في الدولة العثمانية من أجل إنهاء نظام الحكم الاستبدادي للعثمانيين. لذلك تعاونت النخب العربية والأرمنية والكوردية مع بعض النخب التركية لإحداث إصلاحات حقيقية في بنية السلطة العثمانية. لكن سرعان ما انقلبت الأمور ضد القوميات غير التركية، فقد اتبع الاتحاد والترقي سياسة عنصرية صريحة ضد القوميات غير التركية، وصلت إلى إعدام الكثير من دعاة الإصلاح والتحرر. مهد كل ذلك للعمل المشترك بين النخب الكوردية والعربية للقيام بنشاطات سياسية، وصولاً إلى انتفاضات منظمة ضد سلطة الاتحاديين الأتراك. وعلى نطاق أوسع، شكلت ظاهرة الحلف القبلي الملي، باستمراريتها وتأثيرها المديد، أحد أهم تعبيرات التحالف بين القبائل الكوردية والعربية واستمراريتها خلال مراحل تاريخية طويلة نسبياً. استمرت حتى أواسط القرن العشرين.

### سابعاً: الطموحات الاستقلالية للحلف الملي

تفرغت قيادة السلطنة العثمانية في مراحلها الأولى للخطر القادم من قلب أوربا. حيث تمكنت من تأمين حدودها الشرقية، والاحتفاظ بنواتها الجغرافية الأساسية، أي بلاد العرب وكوردستان دون خوض حروب كبيرة. لكن نتيجة لمجملة من المتغيرات تراجع دور ولاية آمد (ديار بكر)، اذ لم تعد طرق التجارة بين أوربا والهند تمر عبرها، ارتبط بروز وتبلور القوة القبلية الملية الكبيرة في سهول الجزيرة الفراتية بالمتغيرات الجديدة. حتى تحولت هذه القوة القبلية إلى سلطة محلية منظمة تآكلت أمامها نفوذ الحواضر التاريخية، مثل آمد، وماردين، والرقة وحتى حلب.

كما كان لصعود قوة الحلف الملي علاقة موضوعية بعملية إقصاء العرب من الحكم والإدارات في العهد العثماني، خاصة في بغداد ودمشق وحلب. من جهة أخرى تفاعلت عملية صعودها مع ظهور وتصاعد حركة عربية أيديولوجية ودينية متشددة ومعادية للعثمانيين، هي الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية، نتيجة لكل ذلك تمت تهيئة الحلف الملي، وتوظيفه من قبل العثمانيين لوقف المد الوهابي نحو الشمال، وعدم السماح بعودة الدور العربي إلى العالم الاسلامي: "قام الحلف القبلي الملي بمواجهة الغزو الوهابي سنة ١٨١٨م. ثم استفاد هذا الاتحاد الملّي الكوردي - العربي من التفكك المستمر للسلطة الإمبراطورية العثمانية وأكثرت من خدمتها للدولة. لدرجة أن تضخم قوة الحلف حتى تألف في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، من حوالي ٥٠ ألف خيمة و٢٠ ألف فارس تحت قيادة المحارب أيوب، الذي كان آخر حصن ضد أشرس هجمة لتحالف العنزة البدوي الوهابي باتجاه الشمال في سنة ١٨١٨، في وقت كانت السلطات العثمانية في وسط وجنوب سوريا تحذّر بدورها من أن الملّية مع حلفائهم البرازية الكورد يستولون على مناطق السهوب حول حماة.

ترك غزو واحتلال سوريا العثمانية من قبل إبراهيم باشا المصري في عام ١٨٣١ الكونفدرالية الملية واقعة حرفياً بين إمبراطورية ضعيفة، ودولة مركزية جديدة حيوية (مصر). في البداية وقف أيوب باشا إلى جانب المصريين، وتعهدوا بالولاء لإبراهيم ومحمد علي في مقابل استمرار الاعتراف بصفته (أمير قبلي)، لكنه فشل في كسب ثقتهم، وسرعان ما اشتكى من الإدارة الجديدة، التي كانت تمنع قبائله من التحرك في المراعي الصيفية التقليدية في الرقة. حدث انشقاق داخل قبيلة الملية نفسها، وذلك بعد قيام أيوب بتحويل الولاء مرة أخرى، حيث قدم دعمه للعثمانيين عندما استعادوا السيطرة على الضفة الشرقية للفرات في عام ١٨٣٤، ولكن وقعوا ضحية، مثل البدرخانيين، تحت حملة محمد رشيد باشا اللاحقة لتقليص نفوذ الإمارات الكوردية في المنطقة بالقوة. (وينتر، ٢٠١٩، ص ٧٤)

تتضارب الروايات حول حقيقة العلاقة ومستوياتها بين الزعامة الملية والسلطة العثمانية، ويبدو أن أيوب بك ابن إبراهيم باشا الأول حاول رفع سقف الاستقلالية عن العثمانيين وطور قوة القبيلة، بدءاً بمرحلة التعاون مع حكام مصر. ولم يكترث كثيراً لأوامر الحكومة العثمانية طوال حكمه الذي دام لفترة طويلة، فقابلت السلطة العثمانية توجهه هذا بزحف الجيش العثماني عليه، ودارت بين القوات الملية والعثمانية معارك دامية أسفرت عن القبض على أيوب بك، وسجنه في قلعة ديار بكر، وظل مسجوناً إلى أن مات، فانتقلت الرئاسة إلى ابنه تيماوي بك، وهو حفيد تيمور باشا السابق الذكر، وسار على نهج والده ايوب. وعلى الرغم من النقلة السياسية النوعية لعلاقات الحلف الملي إلا أن الحلف لم يستفد في المحصلة من الصراع المصري – العثماني في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولا من مقاومة الغزوات الوهابية، سوى الحفاظ على بعض مكاسبها على الأرض.

### ثامناً: دور تشكيلات فرسان الحميدية في تقوية الحلف الملي

دخل الحلف القبلي الملي ومعه أغلب مناطق الجزيرة الفراتية منعطفاً سياسياً حادّاً ومهمّاً، ولعله كان التحول الأكبر الذي طرأ على حياة الاتحاد القبلي المِلّي، وعلى دور زعامته العائلية مع صدور قرار تشكيل الأفواج العسكرية الحميدية العثمانية. إذ كان لفرمان تشكيل الفرسان الحميدية حوالي عام ١٨٩١م الدور الأبرز في تاريخ الحلف وترسخ زعامة العائلة. هذا القرار الذي عوم دور قبائل الملان السياسي، ودفع زعامتها العائلية الملية نحو سويات جديدة من النشاط العسكري والسياسي الطموح. لقد شكلت الأفواج الحميدية الرافعة الأهم لتنامي دور الاتحاد الملي، ورسخت بشكل خاص زعامة إبراهيم باشا "برهو"، وأدخلت الاتحاد القبلي الملي تحت قيادته ضمن المعادلات السياسية في جنوب غرب كوردستان العثمانية وشمال سوريا. وبات إبراهيم باشا أحد أهم

وأقوى الشخصيات السياسية – الشعبية في السلطنة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، لدرجة أن كسب لقب مير ميران كوردستان "ويعني أمير أمراء كردستان ."

سرد المؤرخ كامل الغزي جانب من قصة الصعود هذه: "والرجل المذكور كان والده توفي في حلب في حدود سنة ١٢٩٥ هـ ودفن في زاوية الشيخ جاكير خارج باب النيرب، فخلفه ابنه هذا في المشيخة على العشيرة... وبعد أن صار شيخ العشيرة المذكورة اقتفى أثر آبائه وأجداده في شن الغارة على العشائر الكردية والعربية وأسرف بالنهب والسلب خصوصا في عشيرة قره كج، ولما كثر تشكي هذه العشائر منه أمسكته حكومة ولاية ديار بكر ونفته إلى سوارك وبقي فيها إلى حدود سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م) وفيها استغاث بوالي حلب جميل باشا، وقدم له تقدمة جزيلة فسعى باستقدامه الى حلب، فحضر إليها ومعه الخيول المطهمة العربية هدية خص بها الوالي المشار إليه فشفع به عند السلطان عبد الحميد وصدر العفو عنه وعاد الى وطنه ويران شهر. ولما تألفت الكتائب الحميدية من سكان البوادي مضاهاة لكتائب القوزاق في دولة روسية جعل ابراهيم آغا مقدم مائة ثم مقدم ألف فأمير لواء ومن ذلك الوقت أصبح يدعى ابراهيم باشا وقد كثرت أتباعه وشيعته واستقدم الى الآستانة لعرض كتيبته فشخص إليها مع عدد وافر من عشيرته الجند الحميدي البالغ حد النهاية بحسن البزة والرونق، وقدم الى السلطان عبد الحميد الخيول العربية والسمن العربي ما جعله يعتقد انه من خواص محبيه ومواليه واتصل بوالدة السلطان وقدم لها مبالغ طائلة فسرت منه أيضا ودعته بقولها أنت ابني وأحسن إليها السلطان بالأوسمة العظيمة." (الغزي. ١٩٢٦، ص ٤٨٢)

دعمت الفرسان الحميدية أركان الدولة العثمانية، وعززت سلطة السلطان عبد الحميد نفسه، لأنها كانت قواتٍ خاصة موالية له تماماً من جهة، كما أمنت مناعة الدولة ضد الكثير من المخاطر الداخلية والتهديدات الخارجية من جهة أخرى. هذا ويرجح أن فكرة تشكيل القوات الحميدية تبلورت في سياق الصراع العثماني مع روسيا القيصرية، فقد أوعز السلطان عبد الحميد لمكافأة الأكراد مكافأة أكبر من أجل أن يصبحوا مخلصين للسلطان، والطريقة الأكثر فعالية لضبط الأمن والنظام في الأناضول الشرقي" (برونسن، ٢٠٠٧، ٤٠٤).

توافرت فرصة ذهبية لإبراهيم باشا المتزعم للقبيلة والقائد لقواتها غير النظامية لينخرط في سلك الدولة العثمانية، ويرتقي بتنظيم قواته القبلية البسيطة والعفوية نحو أفواج نظامية مدربة ومؤهلة للحرب تحت راية السلطان عبد الحميد نفسه. وقد حققت هذه الخطوة اندماجاً عملياً في منظومة السلطنة العثمانية السياسية والعسكرية والإدارية، فتضافر ما هو قبلي شعبي مع ما هو سياسي تابع مباشرة للدولة .

لذلك توجت عملية تشكيل الأفواج الحميدية زعامة عائلة كلش عبدي على مجمل المنطقة الغربية الجنوبية من كوردستان العثمانية، وحتى أجزاء من شمالي سوريا ورسخت أكثر فأكثر دور الكورد العسكري، إذ غلب على هذه الأفواج الطابع الكوردي. وتزايد عدد أفواج المتطوعين عاماً بعد آخر. فكانوا ينتسبون إلى الأفواج من جميع المناطق الكوردية، ومن خارجها أحياناً. لدرجة أن تم تجنيد فوجين من الفرسان الحميدية من بين أكراد حماه، وكانوا من أبناء قبيلتي خضركا وكوران. هذا وبلغ عدد الأفواج التي تخضع لقيادة إبراهيم باشا ثلاثة وستين فوجاً في ذروة التجنيد والتنظيم. (كران، بلا، ص٧٧)

فعّلت قوة الأفواج الحميدية وكثرتها ورسّخت دور إبراهيم باشا، ونافس ولاة المدن الكبرى، ورفع من مستوى الدور السياسي والعسكري للاتحاد القبلي الملي بزعامته ليكون صاحب السطوة والكلمة الأولى في شمال بلاد الشام وغرب كوردستان. وبات إبراهيم باشا قريباً من تحقيق حلمه ببسط سيطرته ومد نفوذه إلى مدينة حلب التي كان يعتبرها مركزاً للتجارة والمال، فضلاً عن أنها بوابة للوصول إلى البحر فأوروبا. لقد كانت حلب قبلته وغايته السياسية الاستراتيجية، وبوابة طموحه نحو الاستقلال عن إستانبول، عند توافر المناخ والوقت المناسبين .

منح السلطان عبد الحميد صلاحيات واسعة للفرسان الحميدية، وبرز نجم إبراهيم باشا كنتيجة لتوسع هذه الصلاحيات، وكذلك انتعشت في سياق تنامي الصراعات الداخلية، فتتالت عليه الألقاب وتبلور حلمه السياسي بتحقيق أكبر قدر من الاستقلال، لذلك شكل إبراهيم باشا نواة ما يشبه دولة ذات حكم ذاتي عاصمتها مدينة ويران شهر. وجمع ثروة مالية هائلة واستقطب الحرفيين والتجار والإداريين. حدث كل هذا دون أن يظهر لديه بوادر أيديولوجيا قومية أو أفكار استقلالية واضحة وحادة. (ادي كورد، ب ت، ص٦٨)

بات اقتصاد إبراهيم باشا قريباً من اقتصاد دولة صغيرة، وذلك بحسب مشاهدات مارك سايكس وغيره من الأوربيين الذين زاروه، وما تفصح عنه مصادر العائلة: "كان إبراهيم باشا ثاني أغنى رجل عبد السلطان عبد الحميد في الشرق الأوسط، وقد بلغت ثروته رقماً غير عادي، حيث كان يملك مسحة سبعة ملايين دونم من الأراضي الزراعية عدا أراضي مدينة ويران شهر، كان يمتلك عشرة قطعان من الإبل وخمسمائة قطيع من الغنم و (١٥٠٠٠) حصان عدا الخزائن المملوءة بالذهب والقصور المكدسة بأثمن السجاد الفارسي." (باشا، ٢٠٠٩، ص٨١)

على الرغم من أن زعامته القبلية– العسكرية كانت تنافس وتتعارض أحياناً مع الزعامة القومية الثقافية – الحضرية الكوردية، ويصطدم مع ممثليها من النخب المدنية وخاصة داخل مدينة ديار بكر، إلا أن ظاهرة استقلالية وقوة الملية بقيادة إبراهيم باشا اكتسبت في المحصلة صفة

قومية، وتجاوزت سوية تحالف مجموعة من القبائل محلياً، لترتقي نحو مستويات قومية عابرة للقبائل. وإن لم تفضِ تلك الطموحات السياسية وتطبيقاتها العملية إلى أفكار وممارسات قومية صِرْف.

عززت الفرسان الحميدية من القوة الملية، ومن منظار أوسع القوة المحلية الكوردية، إلا أن أغلب القيادات القومية الكوردية عارضت تشكيلها، إذ تشير بعض المصادر إلى أن العائلة البدرخانية التي كانت تقود النخب القومية الكوردية في تلك المرحلة عارضت الانضمام إلى هذه الفصائل. ففي جريدة كردستان[٨] وردت انتقادات صريحة للفرسان الحميدية، ووصفت بالمؤسسة الفاسدة. كما بينت أسباب تشكل الفرسان الحميدية، ونتائج تشكيلها السلبي على الكورد وقضيتهم. ودعت الجريدة القبائل الكوردية والعربية إلى عدم الانضمام إليها والمشاركة في نشاطاتها. (زاخوي، ٢٠٠٨، ص١٠١)

يمكن الافتراض بهذا الصدد أنه قد تبلور في مطلع القرن العشرين اتجاهان سياسيان في شرق الإمبراطورية العثمانية، الأول هو القومي الكوردي المدني إن جاز التعبير، ممثلاً بالجمعية الكوردية الفتاة وغيرها من التنظيمات، وكانت تدعوا إلى الإصلاحات داخل الدولة العثمانية، وتعارض حكم السلطان، وتنسق عملياً مع ممثلي الاتحاد والترقي التركي. أما الاتجاه الآخر فتمثل بالزعامات القبلية الكوردية وكانت أقواها هي زعامة إبراهيم باشا الملي، وكانت موالية، بل مدافعة عن السلطان عبد الحميد الثاني وتعمل على ترسيخ سلطته وتدافع عن شرعية السلطنة بزعامته. لذلك راهن إبراهيم باشا على السلطان عبد الحميد والمشير (شاكر زكي باشا) قائد الجيش الرابع العثماني في أرزنجان، لتحقيق طموحاته السياسية أولاً، وتثبيت زعامته القبلية ثانياً.

إلا أن إبراهيم باشا أدرك لاحقاً أن الدولة العثمانية في طريقها إلى التفكك، وأن سلطة السلطان عبد الحميد في تراجع، وعلى اعتبار أن علاقاته كانت متوترة مع الاتحاديين، فقد خطط للتحرر من السلطة التركية المركزية، والاستعانة بالأوربيين. تشير سرديات تاريخية إلى أنه قد ثار عملياً على السلطة العثمانية، وعلى الاتحاديين تحديداً: "في بداية القرن العشرين قام إبراهيم باشا رئيس عشائر الملان الكردية بثورة، ويقول السفير الروسي في إسطنبول بأن إبراهيم باشا كان صاحب نفوذ قوي في المنطقة حتى أصبحت طلباته عند السلطان تلبى أكثر من طلبات بعض أركان حكمه. وكان يسيطر على بيرجيك حتى الفرات ومن الموصل حتى دجلة. وهو يحكم هذه المنطقة. وحسب أقوال أحد السياح الألمان بأن إبراهيم باشا هو . ملك كردستان غير المتوج . وفي عامي ١٩٠٦-١٩٠٧ خرجت عن سلطته الفعلية ديار بكر وأورفه وحلب." (كران، بلا، ص٧٧)

سعى إبراهيم باشا إلى أن يبدأ استقلاله من الاستفادة من موقع حلب، فاتصل مع القناصل الأوربيين وخاصة الفرنسي. وتشير مصادر العائلة ووثائقها[٩] إلى أنه قد اجتمع مع القنصل الفرنسي في منزل القنصل النمساوي بوخا بمدينة حلب سنة ١٩٠٤، كما هو ظاهر في الصورة المرفقة (في الملحق).

يمكن الاستنتاج من صرعات هذه المرحلة وما تبعتها، وكذلك من جهود إبراهيم باشا في ضم حلب إلى مجال نفوذه، بعدم وجود رغبة عند نخب حلب في أن يبسط إبراهيم باشا حكمه على المدينة، أو تقع بشكل أو آخر تحت دائرة نفوذه. وهذا الموقف السلبي لفعاليات حلب تجاه إبراهيم باشا جاء على الأرجح بتحريض من الاتحاديين، كما أن النخب الحضرية بحلب لم تكن ترغب في أن تحكم من قبل زعيم عشائري كوردي، ويرأس في الوقت نفسه عدد كبير من الفصائل الحميدية. وهذا يتوافق مع رواية وتوصيف المؤرخ كامل الغزي لدور إبراهيم باشا السياسي وإصرار الزعامات المدنية في ديار بكر وحلب لفتح التحقيق معه، ووضع حد لنفوذه المتنامي. ويبدو أن المؤرخ الغزي كان متحاملاً على ابراهيم باشا، ومال إلى التيار المدني المتحمس إلى الاتحاد والترقي والمستاءين من الفصائل الحميدية. لذلك أكد على وقائع الشكوى ضده: "ثم شرع الناس يتشكون منه لذات السلطان على لسان البرق مخاطبين إياه بلهجة عنيفة غير مبالين على ما كان عليه من شدة وجبروت، وتجهز منهم جماعة من أهل الثراء وسافروا الى الآستانة بقصد التظلم من أعمال هذا الرجل وصرفوا على نوال غايتهم المبالغ الوفيرة والأعوام العديدة فأخفق سعيهم وعادوا خائبين. وكان هذا الرجل لا يفتر شهرا واحدا عن تقديم الهدايا الى السلطان ووالدته وكبار جواسيسه ومطبخه واصطبله، يقدم الى السلطان ووالدته وبعض جواسيسه النقود الكثيرة، والى المطبخ صناديق السمن، والى الاصطبل الخيول الأصايل، وبهذه الواسطة كان السلطان لا يسمع فيه وشاية ولا يصغي لشكوى أحد من". (الغزي، ١٩٢٦، ص ٤٨٢)

تفصح رواية الغزي أن ابراهيم باشا كان ممول السلطان، وبالتالي أحد أهم أركان حكمه، ولم يكن من السهل التخلص منه لأسباب اقتصادية. يواصل الغزي روايته ليصل الى مرحلة اضطر السلطان عبد الحميد تحت ضغط المعارضين لنفوذ ابراهيم باشا أن يشكل لجنة تحقيق معه: "هاج الناس وماجوا في ولاية ديار بكر وحلب وأخذوا يوالون فيه الرسائل البرقية المشتملة على أشد العبارات التي تخاطب بها ذلك السلطان العظيم، وقد ساعدهم والي حلب ووالي دياربكر وأيدا شكاويهم وجعلاها مصبوغة بصبغة سياسية وحينئذ خشي السلطان عاقبة الإغضاء عنه إلى ذلك الحد، فأصدر إرادته بتأليف لجنة من عدة أشخاص للفحص عن أحوال هذا الشخص على ان يكون محل اجتماع هذه اللجنة مدينة ديار بكر، وان يكون ثلاثة أشخاص من هذه اللجنة من مدينة حلب

وشخص من مدينة حماه، وآخر من أورفا وبقية الأعضاء من دياربكر ووواليها رئيسها" (الغزي، ١٩٢٦، ص٤٨٢)

وعلى الرغم من معارضة المجتمع الحضري في حلب لتصاعد نفوذ إبراهيم باشا إلا أن الاجتماع في منزل القنصل بوخا في حلب كان على الأرجح بداية الاهتمام الأوربي به والاتصال معه عبر القناصل، وكانت مؤشراً على تفاقم الخلاف بينه وبين الأتراك الاتحاديين الذين أقنعوا السلطان فيما بعد، بإرساله إلى دمشق بحجة حماية طريق الحجاز وقوافل الحج. ولكنها كانت خطة للتخلص من إبراهيم باشا، وتكمن في سحبه من بلاده وعزله عن محيطه ومن ثم قتله. ويبدو أن سفيري فرنسا وإنكلترا في الأستانة قد علموا أن الاتحاديين يريدون التخلص من إبراهيم باشا، كونه أحد دعائم قوة السلطان عبد الحميد. فأرسلوا الخبر بالشيفرة إلى قنصليهما في دمشق. وعندما قصد إبراهيم باشا القنصلين كاشفوه بالسر، فأخذ احتياطه ولم يدخل إلى الوالي في دار الحكومة بدمشق، إلا ومعه قوة كبيرة. ومن ثم انسحب من المرجة بدمشق إلى شمال سورية. وتبين له في كل مرحلة من مراحل عودته أن الاتحاديين خططوا للقضاء عليه، فخاض معارك صغيرة في طريق العودة. في انتظار معركته الحاسمة مع الاتحاديين، وبالتالي المواجهة الدامية مع قوة الدولة التركية الواقعة في قبضة الاتحاد والترقي. لذلك أخذ المزيد من الحيطة، وعاد بأدراجه وقواته إلى حلب، ومن ثم إلى مدينة ويرانشهر. وخرج من الفخ الذي نصب له بعيداً عن أرضه ووسطه الاجتماعي.

في حين تشير مصادر أخرى أن إبراهيم باشا أراد احتلال دمشق لمقاومة الاتحاديين من بلاد الشام، ودعم سلطة السلطان عبد الحميد بمؤازرة أهالي دمشق والعرب عموماً. وهو لم يعترف أصلا بسلطة الاتحاديين وأراد أن تثور كل سوريا عليهم: "في تموز ١٩٠٨ وضعت ثورة تركيا الفتاة نهاية لحكم عبد الحميد، فما كان من إبراهيم باشا إلا أن ثار ورفض الاعتراف بالنظام الجديد، وأعلن استقلاله وحاول تحريض سوريا كلها على الثورة لصالح السلطان وضد تركيا الفتاة على ما يبدو. غير أن عمليات عسكرية وافية بالغرض قام بها الجيش التركي أدت إلى إلحاق الهزيمة بإبراهيم" (برونيسن، ٢٠٠٧، ص٤١٢).

زحف الاتحاديون الأتراك بجيش كبير على مناطق الملان ودمروا ويران شهر العاصمة، واستولوا على الحوانيت وعلى جزء من أموال إبراهيم باشا الخاصة، فانسحب هو وقسم من قواته إلى الشرق. بهدف كسب الوقت والتحصن في جبل سنجار لدى حلفائه من الكورد الإيزيديين، لحين استجماع قوته وحصول تغيرات في المعادلات العسكرية والسياسية. ظل على أمل أن يأتيه الدعم من فرنسا، أو من بريطانيا العظمى عبر جنوب العراق ليتمكن من المقاومة، والتقدم

بمشروعه السياسي، ولكن لم يصله أي دعم فعلي. ولم يتمكن من مقاومة الجيوش التركية وضربات مدافعها المدمرة. مات في أجواء الانسحاب هذه مريضاً سنة ١٩٠٨ في قرية بيزاري شمال مدينة الحسكة الحالية، وهو على وشك الوصول إلى جبل سنجار. دفن تحت صخرة كبيرة بطريقة درامية. ولا يزال قبره موجوداً في "تل بيزاري" شرق قرية صفيّا شمال مدينة الحسكة. استسلم أبناؤه لاحقاً، وألقت القوات التركية القبض عليهم وزجت بهم في السجون، كما حكمت عليهم بالإعدام.

خسر إبراهيم باشا موقعه السياسي عندما انتهى حكم السلطان عبد الحميد، وتبخرت أحلامه وطموحاته السياسية قبل وفاته، وخاصة حلم ضم مدينة حلب الحاضرة الاستراتيجية إلى منطقة نفوذه. خلفت إبراهيم باشا زوجته القوية خنسة خانم، وقادت ما تبقى من الاتحاد القبلي الملي. أحسنت إدارة شؤون القبيلة من بعده واتصلت بالقناصل الأوربيين خاصة الفرنسي والبريطاني، طالبة المساعدة لإطلاق سراح أبنائها، لكن الاتحاديين سمموا عبد الحميد أكبر أبناء إبراهيم باشا. وتعرضت العائلة لمحنة كبيرة إلى أن أُفرِج عن الصغار، أي من كان دون سن الثامنة عشرة، فأطلق سراح خليل بك أولاً، وكان عمره ١٨ عاماً سنة ١٩٠٩، وبقي كل من محمود بك وإسماعيل بك في السجن. استطاع خليل بك ابن إبراهيم باشا أن يحسن وضعه الاجتماعي والسياسي، فتزوج بنت عبد القادر باشا، وهو أحد المقربين من الاتحاديين، وكان كوردياً متنفذاً من ديار بكر. تمكن الرجل من التوسط لإطلاق سراح إخوته. وظلت خنسة تدير شؤون القبيلة حتى سنوات العشرينيات من القرن العشرين. كما تفصح العديد من الوثائق والمراسلات من القادة الفرنسيين إليها عن بعض المسائل السياسية، التي كانت تهدف إلى تعميق العلاقة مع العائلة، علماً أن ابنها محمود بك المعروف بلقب "معمو" كان قد استلم قيادة القبيلة شكلياً حوالي عام ١٩١٢م. استقر أفراد عائلة إبراهيم باشا والحاشية المتبقية في ويران شهر من جديد. حاول محمود بك النهوض بالاتحاد الملي عن طريق تحسين العلاقة مع الاتحاديين، لكن تلك المحاولات باءت بالفشل. فقد كان الاتجاه الاتحادي الطوراني المعادي للكورد يترسخ ويسيطر على مفاصل السلطة في إستانبول عاماً بعد آخر، وكان هدفهم الرئيس هو التخلص من مراكز القوة الكوردية في كوردستان العثمانية، ومنها قيادة الاتحاد القبلي الملي. وفي سياق متصل فقد استثمر الاتحاديون الأتراك ما تبقى من طاقة وقوة الملية العسكرية في معاركها، وقد شجعتهم حكومة إستانبول على صد هجمات البدو من عنزة القادمة من شمال شبه الجزيرة العربية، خاصة الغزوة الكبرى بقيادة ابن مجلات وابن كعيشيش، فتمكنت القوات الملية من هزيمتهم وإرجاعهم إلى ما وراء نهر الفرات.

كانت المعطيات السياسية كلها توحي لأبناء إبراهيم باشا أن الاتحاديين سيتخلصون منهم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لذلك وطدوا علاقاتهم مع الفرنسيين والإنكليز. وقد طلب

محمود بك من الميجر نويل أن يدعم ويرسخ زعامته على مجتمعات غربيّ كوردستان كونهم كانوا جميعاً من أتباع والده، إلا أن نويل لم يثق كثيراً بهذا التوصيف ولم يلبِّ هذا الطلب، وبالتالي شكك بقدرة محمود على قيادة القسم الغربي من كوردستان العثمانية. وعلى الرغم من ذلك ظل محمود بك أحد الأسماء المقترحة لزعامة كوردستان التي كانت بريطانيا تخطط لاستقلالها إبان الحرب العالمية الأولى. تسند هذه الفكرة المراسلات المتوافرة في أرشيف العائلة، وتفصح عن مستوى العلاقات بين ممثلي الدول الأوربية وبين أبناء إبراهيم باشا. ففي مراسلات الجنرال دولاموت إلى كل من خنسة خانم وولديها محمود وخليل، يبدي الجنرال تعاطفه مع العائلة، ويشكر جهودها في ضبط الأمن ومؤازرة القوات الفرنسية في مواقع وأحداث مختلفة.

**تاسعاً: استثمار الفرنسيين والانكليز القوة الكوردية الملية**

عملت كل من فرنسا وبريطانيا على تشكيل كيانيين سياسيين جديدين في كل من العراق وسوريا عبر ضم المجتمعات الكوردية التي كانت تابعة لإمارات وحكومات كوردية قديما، ولكوردستان العثمانية في زمن متأخر إلى الكيانين، وسعت لدمجها ضمن الدولتين المستحدثتين، إلا أن المجتمع الكوردستاني لم يندمج بسهولة، حتى غلبت على المجتمعات داخل سوريا سمة عدم الاندماج، وتصادم الهويات، وفي مقدمتها مجتمعات الحلف القبلي الملي. التي عانت من إجراءات الالحاق بسوريا وتقسيم مراعيها وأراضيها الزراعية بين سوريا وتركيا، وبالتالي تمزقت جغرافيتها التي كانت ضمن ولاية دياربكر وسنجق الزور، وبات الحلف أمام منعطف سياسي كبير أثر فيه بشكل حاد، كما قلبت السياسات المحلية في كل مناطق شمال سوريا رأساً على عقب.

على الرغم من أن زعامته قد تنبهت لمجريات الأحداث، منذ أن اتصل إبراهيم باشا بالقنصليات الأوربية، ثم استمرت وتطورت علاقات الحلف الملي مع ممثلي كل من بريطانيا وفرنسا، لكن ترسيم الحدود، وطي صفحة استقلال كوردستان، ومكانة محمود بك بين الصف الأول من الزعامات الكوردية كان له الأثر الأكبر على تمتين العلاقة مع فرنسا، وكونها في المحصلة السلطة الجديدة المنتدبة على الجزيرة الفراتية وكل سوريا الطبيعية. كما أن ممثلي فرنسا مهدوا لتوثيق العلاقات مع الزعامات الكوردية، ومن ضمنها زعامة الحلف الملي، حتى وصلت إلى مستوى سياسي وعسكري متقدم. ثمة رواية تشير إلى أن الفرنسيين وعدوا أبناء إبراهيم باشا بإنشاء دولة كوردية مصغرة، تمتد من أورفا حتى الموصل عاصمتها ويران شهر. إلا أنه لا يتوافر من الدلائل والنصوص ما يؤكد ويوثق ذلك، سواء على شكل وعود واتفاق مدون أو خطة عمل. ويبدو أنها كانت مجرد وعود شفاهية في سياق سياسة فرنسا لإنشاء عدة دويلات ذات حكم ذاتي في ظل سلطة انتدابها، وهذا ما نفذته في مناطق سوريا الغربية، وعلى ما يبدو لم يكن لها القدرة على

تنفيذ هذا الوعد – إن صح وجوده أصلاً – تحسباً من مواقف الحكومة التركية الحادة تجاه أي حالة تحرر كوردية.

في حين تشير المصادر التاريخية والوثائق الدبلوماسية إلى أن بريطانيا كانت تميل لترشيح محمود بك لرئاسة دولة كوردستان المزمع تشكيلها، عندما كانت متحمسة لهذه الفكرة: "لقد برز عدد من المرشحين للقيام بدور رئيس الدولة الكردية الغامضة. وهؤلاء كانوا باستثناء شريف باشا . الذي لم تولِه بريطانيا الثقة. عبد القادر والبدرخانيين، ووجهاً جديداً هو زعيم اتحاد عشيرة الملي القوية محمود بك ابن إبراهيم باشا الذي كان شهيراً حين أودعه الأتراك السجن أثناء الحرب. وفي أعقاب الحرب، قامت السلطات التركية في جنوب شرق الأناضول، الذي كان يقع تحت نفوذ الاتحاديين، بإطلاق سراح محمود من السجن ووعدته بفرض سلطته على معظم أكراد الملي الذين عاشوا إلى الغرب من الفرات، فيما إذا قام بتنظيم المقاومة ضد الإنكليز وطردهم من منطقة أورمية. إلا أن محمود بك لم يبد استعداداً للقيام بهذه المهمة الملقاة على عاتقه. وفضلاً عن ذلك أقام علاقات مع الإنكليز وبدأ يبرز بصفته مرشحاً لمنصب فرضي لحاكم كردستان موحدة، لكنه لم يفلح هنا أيضاً وبالتحديد بحكم افتراضية هذا الإجراء كله." (لازاريف، ١٩٩١، ص١١٥)

تميل مصادر أخرى إلى أن بريطانيا كانت جادة في مقترح تسليم رئاسة كوردستان لمحمود بك: "إن خبيراً بريطانياً وعلى الأرجح هو الميجر نويل نفسه قد اختار عام ١٩١٩ ابن إبراهيم باشا محمود بك بصفته أحد أنسب مرشحين اثنين لحكم المملكة الكردية التي كان البريطانيون ينوون تأسيسها آنذاك." (بروينسن، ٢٠٠٧، ص ٤١٢)

على الأرجح اتفق الفرنسيون والإنكليز مع الاتحاديين والقوميين الأتراك ممثلاً بمصطفى كمال بعد انتهاء الحرب الأولى، وبعد اتفاقية أنقرة سنة ١٩٢١ على ترتيبات علنية، وأخرى سرية، فأبرمت صفقات سياسية كبرى على صعيد المنطقة والعالم، وتخلت بموجبها كل من فرنسا وإنكلترا عن دعم أبناء إبراهيم باشا. وبالتالي لم تعد المسألة الكوردية وفعالية المجتمعات الكوردية تهم بريطانيا، خاصة في منطقة غرب كوردستان العثمانية والجزيرة الفراتية، بعد أن تم طرد آخر الجنود العثمانيين منها، والتوجه لتأسيس سوريا والعراق بهويتهما العربيتان.

كان الاتحاديون الأتراك قد شنوا بعد الحرب العالمية الأولى حملة جديدة على الاتحاد الملي بزعامة أبناء إبراهيم باشا ودمروا مدينة ويران شهر، فانسحبت زعاماتهم مع عدد من المقاتلين إلى مدينة رأس العين، ورافقهم قسم من المقربين. وعلى اعتبار أن الثقل الديمغرافي للحلف المكون من القبائل الكوردية ظل شمال خط الحدود، اعتمد أبناء إبراهيم باشا بعد تثبيت الحدود لاحقاً

على القبائل العربية المنتمية للحلف الملي، تلك الساكنة جنوب وغرب مدينة رأس العين، لذلك فرض الواقع الجديد تبدلاً في علاقاتهم الاجتماعية والسياسية، وكذلك في تحالفاتهم عاماً بعد آخر. كما تزاوجوا مع العرب، وابتعدوا تدريجياً عن الثقافة والمجتمع الكوردي، لدرجة أن نسوا اللغة الكوردية. تؤكد المصادر التاريخية ما ذكرناه بهذا الخصوص: "ولكن بعد وفاة الباشا المذكور، واحتلال الفرنسيين، وتقسيم المناطق بين العشائر، خفت العداوة بين القبائل بالتدريج إلى أن زالت بتاتاً، وانقلبت إلى صداقة ومصاهرة قويتين، بزواج الشيخ ميزر عبد المحسن رئيس شمر الزور بابنة خليل بك ابن إبراهيم باشا، وحاربت الملية عنزة الجزيرة أيضاً، ونعني بها عشيرة الفدعان، وكانت الوقائع بينها سجالاً، وهاجموا مرة شاشان رأس العين، كما أن أبناء إبراهيم باشا مشوا عام ١٩٢١مع الحملة الفرنسية التي يقودها الزعيم دبيوفر في هجومها على قرى خشام والبصيرة وضربها عشيرتي العنابزة والبكير من العقيدات، وقد انقسمت العشيرة الملية بعد تحديد الحدود إلى قسمين. فبعضها داخل الحدود التركية في رئاسة عبد الرحمن بك، وبعضهم داخل الحدود الشامية برئاسة محمود بك... وكان يقطن محمود بك في قصره الذي شيده في ويران شهر، وبعد أن انتقل إلى قضاء رأس العين، ظل يتبدى في مضربه العظيم ذي العواميد الستة عشر إلى أن شاخ وهرم وتوفي في صيف عام ١٩٤٥م ... ولما توفي محمود بك استقرت الرئاسة إلى خليل بك إلا أن خليل بك قد شغل عن العشيرة بالنيابة في البرلمان السوري، فصار يعاونه في إدارة العشيرة الباقية في قضاء رأس العين ابنه محمد علي بك[١٠]، وهو شاب ذكي همام، متعلم يجيد اللغة الفرنسية كإجادته التركية فضلاً عن العربية." (زكريا، ١٩٨٣، ص٦٦٦)

ولهذا الشاب (محمد علي) رأي آخر دونه في مرحلة لاحقة، ولم يخفي استيائه من الدور السلبي للفرنسيين والبريطانيين واستخدامهم القوات الملية في تحرير دير الزور من العثمانيين في تلك المرحلة الانتقالية الصعبة.

**عاشراً: مساهمة الحلف الملي في مشروع استقلال المناطق الكوردية الملحقة بسوريا**

على الرغم من المتغيرات التي عصفت بالمجتمع والجغرافيا والكيان العثماني، استمر الدور السياسي للحلف القبلي الملي بقوة بعد الحرب العالمية الأولى، ولم يتخلى أبناء إبراهيم باشا عن طموحاتهم في التحرر والاستقلال، وخطوا خطوات ملموسة في هذا الاتجاه بتشجيع من البريطانيين، وبدعم فرنسي صريح بعد وصول قواتها الى سوريا: "في عام ١٩٢٠ كانت القوات الفرنسية قد وصلت إلى لبنان وقد أعلن الفرنسيون بأنهم سيساعدون العرب والأكراد ضد الأتراك وما أن سمع الباشوات بذلك حتى توجه إسماعيل بك وتمر بك بأمر من محمود بك لمقابلة الجنرال دولاموت قائد القوات الفرنسية في حلب، وبالفعل تمت المقابلة وعقدوا معه اتفاقاً ينص

على ضرورة التعاون بين الطرفين ضد الأتراك كما نص الاتفاق على تعهد فرنسا بتحقيق استقلال كردستان وإعلانها دولة مستقلة بقيادة الباشوات، وهناك في حلب قدم الفرنسيون كميات هائلة من السلاح للباشوات ومساعدات مالية أيضاً، وحيث أن المخافر التركية كانت لا تزال متواجدة في مناطق ديرالزور ونواحيها، فتوجهت قوات الباشوات من حلب نحو ديرالزور للقضاء على تلك المخافر، وهناك وقعت معارك بين الباشاوات من جهة والعكيدات من جهة أخرى انتصر فيها الباشوات حيث دخلوا ديرالزور والبصيرة والبوكمال والميادين وتم القضاء على النفوذ التركي هناك، واستلموا السلطة في دير الزور أكثر من سنة، وبعد ذلك توجهوا نحو الحسكة ورأس العين وهم في طريهم الى عاصمتهم ويران شهر. ولكن ما أن وصلوا إلى رأس العين حتى أعلمهم الفرنسيون بضرورة التوقف عن محاربة الأتراك وذلك لتحسن العلاقات بين الأتراك والفرنسيين، وعندما ذكرهم الباشوات بوعودهم بتأسيس دولة كردية مستقلة قالوا بأن الظروف الدولية قد تغيرت الآن والأتراك هم أصدقاء لنا، ولا نسمح بأي ازعاج لهم من قبلكم وإذا رغبتم في البقاء في سوريا فإننا نوافق على ذلك وإذا رغبتم في العودة إلى عاصمتكم أيضا فإننا نضمن لكم الأمان بشرط تسليم أسلحتكم على الحدود..." (باشا، ٢٠٠٩، ص٩٣)

ولم تنجح محاولات الحلف الملي هذه بقيادة أبناء إبراهيم باشا، حيث نكص الفرنسيون بوعودهم، وقمعهم الأتراك بعد اعلان الجمهورية، مما انزاح معظم أفرد عائلة الباشوات وقسم من الحاشية واستقرت في رأس العين. ثم تعاونوا مع الحركة الكوردية الجديدة ممثلة بجمعية خويبون بزعامة آل بدرخان وحاجو آغا. وتمسكوا بمطالب الاستقلال من جديد.

انخرط القسم الشرقي من الملية داخل الحركة الاستقلالية الكوردية – السريانية في الجزيرة السورية ابان سنوات (١٩٣٠ – ١٩٤٦)، بقيادة أفراد من عائلة خضر آغا، متمثلة بشخص نواف آغا حسن، الذي توافق مع موقف حاجو آغا وعدد من الزعامات المسيحية – السريانية الراديكالية الداعية الى استقلال المناطق الكوردية شرق نهر الفرات، ورفض سلطة حكومة دمشق المركزية. ترجمت مساهمة الملية مع باقي القبائل الكوردية الداعية الى الاستقلال بالعصيان المدني، تحول تدريجياً الى حركة مسلحة، استندت إلى التحالف مع المجتمعات المسيحية، وعملت على حمايتهم أثناء أحداث سنة ١٩٣٧ الدامية. اذ قام نواف آغا حسن بدور فاعل في مواجهة ممثلي حكومة دمشق، وأنصارها الذين عرفوا بالتيار (الوطني)، الداعين الى إلحاق كل الجزيرة الفراتية بسوريا.

يعد نواف آغا من بين الزعامات الملية الكوردية التي دفعت حياتها نتيجة لموقفه المطالب بالاستقلال والمتحالف مع الفرنسيين والمسيحيين. فبعد جلاء القوات الفرنسية عملت الدوائر

البوليسية لسلطة دمشق على الانتقام من رموز الاستقلال الكوردي، خاصة نواف خضر آغا الملي، الذي كان قد عمل بنشاط، وأسس لعلاقات سياسية مع ممثلي سلطة الانتداب الفرنسي منذ سنة ١٩٣٤ . ساهم في النشاطات الداعية للحكم الذاتي والاستقلال، حيث شارك في مؤتمر قرية توبز سنة ١٩٣٧، الذي تبلورت فيها أهداف حركة الاستقلال الكوردي بقيادة شخصيات مثل: نايف باشا رئيس قبائل كوجر بوتان، وحاجو آغا رئيس حلف هفيركان وخلو آغا الميرسيني، وغيرهم من المطالبين بتشكيل حكومة كوردية. كسبوا رأي الحكومة الفرنسية، واستمروا بالمطالبة بحكومة كوردية محلية، ونجحوا في تأسيسها نسبياً، الى أن خرجت القوات الفرنسية من سوريا سنة ١٩٤٦، فترسخت بعدها سلطة حكومة دمشق في المناطق الكوردية بدعم مزدوج من بريطانيا وتركيا .

تنشطت السياسة المعادية للكورد، وخاصة اتجاه أنصار الاستقلال. في ظل هذا المناخ المشحون ضد نواف آغا حدثت مشاحنة أثناء اجتماع للعشائر في الحسكة، طلب فيها الضابط مختار الأتاسي من نواف آغا الحضور الى مكتبه فرفض، احتقنت الأجواء وحدث التصادم بينهما وكان ذلك في يوم ١٩٤٦/٤/٢٢ إذ حاول الأتاسي اهانة نواف آغا، فتحولت المشادة إلى معركة بالسلاح، اذ قام (كينجو – أو معمو) سائق ومرافق نواف آغا بالدفاع عنه، فقتل على أثرها الضابط وسلانيك آغا ابن عم نواف، ومحمود خليفه من فخذ باديني، كما جرح نواف، الذي اضطر إلى اللجوء إلى كوردستان تركيا (سه رخت)، وبحسب رواية أخرى الى سنجار.

عاد إلى منطقته عدة مرات بشكل متقطع، إلا أن القوات الحكومية كانت تراقبه، وفي صبيحة يوم ١٩٤٧/٩/٢٣ طوقت قوة عسكرية كبيرة منزله في قرية سيمتك، وطلبوا منه الاستسلام، لكنه رفض وقاوم حتى طالته طلقات قوات الدرك. بعد مقتله قامت القوات الحكومية بالتمثيل بجثته، وجره خلف السيارة في شوارع عامودا، لترهيب الكورد، فأغلق السكان أبواب منازلهم حتى لا يرى أحد منهم نواف آغا في هذه الحالة. وتشير رواية أخرى إلى قيام مظاهرات في عامودا احتجاجاً على هذه الجريمة. حتى تدخل قريبه عيسى آغا عبد لكريم واستلم جثته من السلطات الحكومة، تم دفنه في قرية جولي، ومازال قبره هناك خارج قريته.[١١]

اعتبر بيير روندو أن الاتحاد القبلي الملي هو إحدى الحالات والمحاولات الكبرى لتوحيد الأكراد على أساس قومي على الرغم من بداياتها القبلية، وبخاصة في مطلع القرن العشرين: "هذه المحاولة التوحيدية فريدة من نوعها ومثيرة من جوانب عديدة... لأنها ظهرت في أقصى منطقة من كردستان بين ديار بكر وحلب، خارج المراكز الاعتيادية للحركة الكردية، أضف إلى ذلك قيام قبيلة ملي بها، وهي نفسها عبارة عن اتحاد عشائر ومزيج لعناصر كثيرة التباين، وحيث الكثير منها ليس من أصل كردي بل عربي". (روندو، ٢٠٠٠، ص ٦٠)

كانت نزعة الاستقلال والتوحيد التي رافقت الأحداث والمتغيرات التي طرأت على مسيرة الحلف الملي ذات محتوى قبلي تضامني في الأساس، ثم تطورت وارتقت نحو صيغة قومية أولية لاحقاً. فقد ولدت محاولات التحرر لدى الملية من مصالح الاتحاد الملي، وأخذت نسغها من الشعور القومي، فالتمايز عن الأتراك، ورغبة في امتلاك السلطة والسيطرة على طرق التجارة والأراضي، وكذلك على السهول والمراعي، ولتشجيع المهن اليدوية والحرف. هذا ولم تلتق نزعة الاستقلال الملية مع الاتجاه القومي التحرري الكوردي إلا في فترة متأخرة، حيث انحاز أبناء إبراهيم باشا إلى نزعة الاستقلال الكوردية الصريحة خلال فترة العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. وبعد أن اندحرت الانتفاضات الكوردية – المسيحية في الجزيرة الفراتية، وانتهى التحالف الكوردي – السرياني إثر هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية، توقفت هذه المسيرة الطويلة والشاقة.

**الاستنتاجات:**

١. يمكن إحالة تفكك وتراجع الحلف الملي إلى جملة من العوامل الاجتماعية والسياسية التي عصف بالمنطقة خلال الحربين العالميتين، وإلى هشاشة حياتها الرعوية، إضافة الى انقسام مجتمعاتها عدة مرات.

٢. شكل انتماء قسم من زعامتها إلى الفرسان الحميدية نقطة تفارق، وصيغة اختلاف لها عن غيرها من الزعامات الكوردية والسلالات الحاكمة في الإمارات الكوردية.

٣. تظل نقطة ضعف الحلف القبلي الملي مرتبطة بانقسام زعامتها تاريخياً، وانزواء قسم منها وعملها ضمن فضاء قروي فلاحي، وتوجه القسم الآخر نحو الترابط مع السلطة العثمانية سياسياً وعسكرياً.

٤. يؤخذ على أغلب زعاماتها عدم التنسيق مع الحركات الاستقلالية الكوردية، وخاصة حركتي بوتان وشمدينان.

٥. عانى الحلف القبلي الملي من معضلات بنيوية، حيث كانت مكونة من مجتمعات متنقلة غير مستقرة ورعوية، لم تستطع ترسيخ سلطها على الأرض، كما كانت تفتقر الى الرقعة الحضرية والريفية الواسعة.

٦. اعتمد القسم الغربي من الحلف الملي كثيراً على العناصر العربية التي تخلت عن الحلف بعد تكون الحكم العربي في سوريا.

٧. لقد ُخدِعت الزعامة الملية كغيرها من الزعامات والنخب المجتمعية والسياسية الكوردستانية من قبل بريطانيا وفرنسا ابان الحربين العالميتين.

٨. لم يختلف في المحصلة مصير الامارة – الحلف الملي عن مصير غيرها من الإمارات والكيانات المحلية الكوردستانية، حيث تحولت جميعاً إلى غنيمة حرب، وتركة عثمانية تقاسمتها الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، واحتفظت الدول التي شكلتها الكولونيالية الأوربية في المنطقة بحصتها من هذه الغنيمة.

**قائمة المصادر:**


١. أبو بكر، أحمد عثمان (١٩٧٣). أكراد الملي وإبراهيم باشا. بغداد

٢. أبو عز الدين، سليمان (١٩٢٩). ابراهيم باشا المصري في سوريا. بيروت

٣. ادي كورد، حسن (ب. ت). مدينة ويران شهر. باللغة التركية. مرسين

٤. أورهونلو، جنكيز (٢٠٠٥). إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية. باللغة التركية، ترجمة: فاروق مصطفى. دمشق

٥. برووينسن، مارتن فان (٢٠٠٧). الآغا والشيخ والدولة. البنى الاجتماعية والسياسية لكردستان، باللغة الانكليزية، ترجمة: أمجد حسين، بغداد، أربيل، بيروت، ج١

٦. بوزرسلان، حميد (٢٠١٠)، تاريخ تركيا المعاصر. ترجمة: حسين عمر. الدار البيضاء. المغرب

٧. روندو، بيير (٢٠٠٠). القبائل الكردية في سورية، باللغة الفرنسية. ترجمة: عز الدين الكردي، إعداد وتقديم: آزاد أحمد علي. إصدار خاص. سورية

٨. زاخوي، ماجد محمد يونس (٢٠٠٨). الفرسان الحميدية. جامعة دهوك. كردستان العراق

٩. زكي، محمد أمين (١٩٨٥). خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة: محمد علي عوني، لبنان

١٠. سايكس، مارك (٢٠٠٧). القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية. باللغة الانكليزية. ترجمة: أ.د. خليل عيسى مراد، تقديم ومراجعة: أ.د. عبد الفتاح بوتاني. دار الزمان. دمشق

١١. علي، د.آزاد أحمد (٢٠٢٣). تقسيم كوردستان العثمانية إلى دولتي سوريا والعراق. أربيل

١٢. عياش، عبد القادر (١٩٨٩). حضارة وادي الفرات، مدن فراتية. دمشق

١٣. الغزي، كامل ابن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (١٩٢٦). نهر الذهب في تاريخ حلب، الجزء الثالث، المطبعة المارونية – حلب

١٤. كران، أيوب (ب ت). عشيرة الملان الاتحادية. باللغة التركية. ترجمة: هوزان رمضان. مخطوط بالعربية. غير منشور، بحوزة الباحث.

١٥. لازاريف، م.س (١٩٩١). المسألة الكردية (١٩١٧-١٩٢٣)، باللغة الروسية، ترجمة: د. عبدي حاجي. بيروت

١٦. مظهر، الدكتور كمال أحمد (٢٠١٣)، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، بيروت

١٧. وينتر، ستيفان (٢٠١٦). دراسة بعنوان: النهضة الأخرى. ترجمة: محمد شمدين. مجلة الحوار، العدد ٧٤ / ٢٠١٦

**هوامش**

[١] بحسب هذا الرأي يكون اسم جذر زعامة العائلة ذات تفسير واضح وتعني باللغة الكوردية أبو الأمراء ((Bavê Mîran = Bavmîrîويكون المعنى في هذه الحالة أكثر تماسكا وقربا من السياق التاريخي والمعنى الاجتماعي من مفردة بامري التي لا يمكن تفسيرها بدقة في اللغة الكوردية وقد تقرب من معنى (الذي مات والده) وبذلك تبتعد عن المعنى والتفسير الأكثر منطقية.

[٢] هو نهر (هرماس) الذي ينبع من شمال شرق نصيبين ويصب في الخابور عند مدينة الحسكة.

[٣] كتب المرحوم محمد علي باشا هذه المعلومات في تسعينات القرن العشرين، وبذلك يمكن أن يعود تأريخ الخلاف بين جناحي الزعامة الملية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر على خلاف رواية الطرف الآخر.

[٤] لمزيد من التفاصيل حول نشوء واضمحلال ايالة كوردستان العثمانية، يمكن الاطلاع على كتابنا: تقسيم كوردستان العثمانية الى دولتي سوريا والعراق. أربيل - ٢٠٢٣

[٥] لمزيد من التفاصيل حول بيت الشعر / خيمة إبراهيم باشا يمكن مراجعة كل من مارك سايكس، وماكس فان اوبنهايم.

[٦] لمزيد من التفاصيل في هذه الجزئية يمكن مراجعة كتابنا: تقسيم كوردستان العثمانية الى دولتي سوريا والعراق.

[٧] هو حفيد تيمور باشا والي الرقة سنة ١٨٠٠م

[٨] جريدة "كردستان" أول جريدة ناطقة باللغة الكوردية، صدر العدد الأول منها في القاهرة في ٢٢ نيسان عام ١٨٩٨م. أصدرها مدحت مقداد بدرخان، وكانت تمثل الاتجاه القومي الكوردي الداعي إلى التحرر من العثمانيين.

[٩] حوار خاص مع المرحوم عبد الإله الباشا. كما حصلت منه على صور عديدة لوثائق العائلة، وتم اعادتها، ولم تعد في متناول اليد بعد احتلال مدينة رأس العين سنة ٢٠١٩ من قبل الجيش التركي والفصائل السورية المسلحة الموالية لها.

[١٠] أجريت مع المرحوم محمد علي بك حوار مطول، نشرت في مجلة الحوار العدد (١١) سنة ١٩٩٦، أكد فيها على الكثير من هذه المعلومات التي أوردناها في النص.

[١١] اعتمدنا في ضبط رواية مقتله على عدة مصادر، وخاصة روايتي الاستاذ صالح جميل خضر آغا الملي، وحسان عبد الكريم عيسى خضر آغا الملي.

## الملحق رقم (1)

صورة إبراهيم باشا الملي مع القناصل في حلب

من أرشيف حفيد إبراهيم باشا المرحوم عبدالاله. من مدينة سه ري كانيي (رأس العين)

## The Social and Political Role of the Milli Tribal Alliance

**Abstract:**

Kurdish society has historically been characterized by the dominance of the tribal pattern over its structure, meaning the presence of regular, close-knit, solidarity-based groups within a sub-identity within the larger Kurdish society. The sources of Islamic history have detailed the explanation of the tribal distribution of Kurdish society. The Kurdish tribes divided into nomads who worked in herding, and farmers who worked in agriculture in the countryside, and semi-nomadic tribes in between.

The structure of the Kurdish tribe was generally federal, consisting of a union of a group of families. This mechanism and structural feature of Kurdish society deepened year after year until a tribe was formed, and then by the same mechanism a large tribe was formed from a union of smaller tribes, or a broad alliance was formed for a group of tribes. Among these tribal unions, we will study in our research the Milli tribal alliance, which resulted from the effectiveness and expansion of the Kurdish Milli tribe, which was known in the Kurdish language as (Milan). It is a relatively recent union that emerged during the Ottoman era, as we did not find any mention of it among the Kurdish tribes during the Mamluk era, especially in the fourteenth and fifteenth centuries. The research addresses the history of the emergence and birth of the Milli tribe, the origin of its name and its roots, the basis of this union and its backbone, the Kurdish Milan tribe, and a small section of it in particular, called the Bamirî. The number of tribes under the umbrella of the Milli alliance approached about sixty tribes, including Kurds, Arabs, and Turkmen, and it also included Muslims, Yazidis, and some Christians. The leadership of Milli tribe split into two branches: the western branch, led by the Kalash Abdi family, and the eastern branch, led by the Khader Agha family.

This study monitors the growing role of the Milli tribal union, which constituted a model case for studying the development of the political and social role of the Kurdish tribe, by focusing on basic stations in its political

and social life, and the nature of its relationship with the neighborhoods. And its interaction with major turning points and events throughout a period of three centuries, starting with the eighteenth century until the middle of the twentieth century.

The study seeks to reveal the role of the Milli union and its social and political effectiveness, which is impossible for one tribe alone to do. Such as grazing work in distant plains and the defensive function against the invasion of Arab Bedouin tribes. The study addresses the problem of the Melanid relationship with the Ottoman authorities, by analyzing the mechanisms of the growing political role of the Melanid alliance, its alliance with the rulers of Egypt and its tendency toward expansion and control, leading to attempts at independence from the Ottoman authority, cooperation with the British and French, and the establishment of something similar to the administrative capital in the town of Weranshaher. The effectiveness of the Milli alliance was linked first with the Ottoman authority, and with the policies of settlement and urbanization that it implemented in the plains of the Euphrates Peninsula. Many persons played a dual role in the Milli alliance as heads of the tribe, and as holders of administrative and military positions within the Ottoman Sultanate at the same time, such as: Ayoub Agha, Tamr Pasha, and finally Ibrahim Pasha.

The research also addresses the phenomenon of the increasing role of the Kurdish tribes at the against of the cities and towns. The researcher assumes that the effectiveness of the social and political role of the Kurdish tribes emerged from this phenomenon, meaning: the role and effectiveness of the Kurdish societies has depended sharply on the settled tribes in the countryside and on the nomads (Koçer) in confronting the invasions and the risks. finally, the study reaches a summary conclusion: In the end, the fate of the Emirate - the Milli alliance did not differ from the fate of the other emirates and local Kurdish entities, as they were all turned into spoils of war, an Ottoman legacy shared by the victorious countries in the First World War, after that, the countries formed by European colonialism retained their share of these spoils.

**Keywords:** *Milli, Political Role, Ottoman Sultanate, Weranshahr, Ibrahim Pasha.*